الجامعة الإسلامية- بغــزة

عمــادة الدراســات العليــا

كليـــة أصــول الديـــن

قسم التفسير وعلوم القرآن

البنـــاء العقلي في ضـوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

إعداد الباحثة

ميســـاء كمــال قلجـــة

إشراف الدكتور

زهـــدي محمد أبــو نعمــة

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1430هـ - 2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

[البقرة:164]

"اعلم أن لكل فضيلة أساً، ولكل أدب ينبوعاً، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً، وللدنيا عماداً، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألّف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم ... "[1]

(1) انظر: أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ص (11).

إهـــداء

- إلى روح والدي ووالدتي الحبيبين – رحمهما الله وغفر لهما– وجعل عملي هذا رافعاً لدرجتهما في الجنة يوم القيامة.
- إلى زوجي الغالي ... تقديراً وعرفاناً.
- إلى أبنائي ... حباً وتشجيعاً.
- إلى إخوتي وأخواتي.
- إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع.
- إلى الذين عرفوا نعمة الله عليهم بالعقل فشكروه عليها بالتفكير الصحيح السليم.
- إلى كل هؤلاء أهدي بحثي هذا.

وأسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن يصدق فيهم قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:190-191] .

شكر وتقدير

استرشاداً بقول الله ﷻ ﴿...وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:12] ، وقوله ﷺ **(من لم يشكر الناس لا يشكر الله)**[1] فإنني أولاً أحمد الله ﷻ وأشكره كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أن وفقني لإتمام هذا العمل.

ثم أشكر زوجي وأسرتي على ما بذلوا معي من جهد، وما صبروا عليّ وتحملوا من عناء، وإنني لأتقدم بالشكر الكبير والتقدير العظيم من أستاذي الفاضل فضيلة الدكتور/ زهدي محمد أبو نعمة –حفظه الله– على قبوله الإشراف على هذا البحث، فلم يبخل عليّ بوقته ولا بنصائحه وإرشاداته، فجزاه الله عني خير الجزاء ونفع الله طلاب العلم بعلمه.

كما وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى كل من أستاذيّ الفاضلين:

فضيلة الدكتور / عبد الرحمن يوسف الجمل حفظه الله

فضيلة الدكتور / رياض محمود قاسم حفظه الله

حيث تشرفت بقبولهما المناقشة، ولما بذلا من جهد مثمر في نقده وتنقيحه، فأسأل الله أن يحسن ثوابهما.

والشكر موصول للعاملين في المكتبة المركزية في جامعتنا الغراء، الجامعة الإسلامية، ولكل من بذل معي جهداً كريماً فلهم مني كل شكر وامتنان.

ولا أنسى أن أشكر كل من ساهم في إخراج هذا البحث بهذه الصورة، وأخص بالذكر الأستاذ/ هاني الصوص الذي تفضل بطباعة وتنسيق وإخراج الرسالة، وكذلك الأستاذ/ سهيل أبو زهير الذي تفضل بتدقيق الرسالة لغوياً، فلهما مِنّي جزيل الشكر والتقدير.

كما وأتقدم بعظيم الشكر والتقدير إلى كلية أصول الدين ممثلة بعميدها الدكتور/ نسيم ياسين حفظه الله ، فلهؤلاء جميعاً كل الشكر والتقدير والامتنان.

وأخيراً أسأل الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ص (445) ح(1954) قال الألباني: صحيح.

ملخص الرسالة

(البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم)

شملت هذه الرسالة تمهيداً وثلاثة فصول:

أما التمهيد :

ويشمل معنى البناء والعقل في اللغة والاصطلاح، ثم الخروج بمصطلح البناء العقلي يجمع بين اللغة والاصطلاح، ومشتقات لفظ العقل في السياق القرآني واستعمالاته القرآنية.

أما الفصل الأول : طرق البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم.

فقد تناولت الباحثة فيه دعوة القرآن لإعمال العقل ، و الحث على التفكير العلمي بالنظر في آيات الله ،و الإيمان بالغيب ودوره في البناء العقلي.

وأما الفصل الثاني:

فقد تناولت فيه الباحثة أصحاب العقول بين الإعمال والتعطيل، وذكر أصنافهم وبيان لأناس أعملوا عقولهم وآخرين عطلوا عقولهم.

وأما الفصل الثالث:

فقد تناولت فيه الباحثة نظرة الناس للعقل، فتحدثت فيه عن النظرة الصحيحة للعقل وطبيعتها، والنظرة الخاطئة وطبيعتها، وعلاقة العقل بالنقل.

الخاتمة:

وقد ساقت الباحثة في خاتمتها أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها.

مقدمـــة

الحمدُ لله الذي ميزنا بالعقول عن كافة المخلوقات، وجعل العقل هو مــدار التكليــف، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد، كمــا ينبغــي لجــلال وجهــك وعظــيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، والصلاة والسلام على خاتم الأنبيــاء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن العقل نعمة عظيمة من نعم الله ﷻ، بل هي أعظم نعمة بعد الإيمان، فهي مكمــن شخصية الإنسان، فبدون هذه النعمة يتيه الإنسان عن نفسه، ويكون عاجزاً عن إدارة شــؤون حياته، فضلاً عن أن يخدم غيره.

لقد اهتمَّ القرآن بالعقل اهتماماً بالغاً، فذكره في آيات كثيرة، حيث بلغت تسعاً وأربعين آية، مثال ذلك قوله تعالى ﴿ ...**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[النحل:12]، وجاءت آيات أخرى في الحث على إعمال العقل والثناء على من يستعمله، وأخرى في اللوم والتقريع لمن يهمله وتظهر أهمية عمل العقل من قول الكفار أثناء العذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الملك:10] وكيف لا يهتم القرآن بالعقل، وهو مناط التكليف، وهو المسؤول عن تحقيق الغاية التي من أجلها خلق الله الثقلين ،وهي عبادة الله تعالى حيث قال سبحانه:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56]

ومن تمام نعم الله علينا أن جعل التكليف خاصاً بمن وهبه الله العقل، أمــا إذا ســلب الموهوب أسقط الله عنه المكتوب.

فالواجب علينا أن نشكر الله ﷺ على هذه النعمة العظيمة بالمحافظة عليها واستخدامها الاستخدام الصحيح السليم وعدم تعطيلها، حتى لا نكون ممن قال الله فيهم: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [الأنفال: 22]

ولأن للقرآن الكريم منهجاً خاصاً في بناء العقل الإنساني كان الدافع للكتابة في هــذا الموضوع ، ومحاولة دراسته في ضوء القرآن الكريم.

أهمية الموضوع:

تتبع أهمية هذا الموضوع من اعتبارات كثيرة أذكر منها:

1. عناية واهتمام القرآن الكريم بالعقل، فقد ذكره في آيات كثيرة منها ما صرح به وعددها تسع وأربعون آية ومنها ما لم يصرح به.
2. حاجة الناس إلى مثل هذه الموضوعات الحية التي تخدم التطور السريع الذي نعيشه فيكون منبعه من القرآن الكريم.
3. يبحث هذا الموضوع في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وهو موضوع جدير بالبحث والدراسة والإحاطة به من جميع جوانبه.
4. دراسة هذا الموضوع تعمل على الارتقاء بالعقول، قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت:43].
5. اشتمال هذا الموضوع على طرق وأساليب تزود العقل بالعلم النافع وتعمل على البناء الصحيح، وتؤكد جميعها على وحدانية الله ﷻ وصدق رسوله محمد ﷺ.
6. بيان أهمية البناء العقلي السليم ودوره في بناء مجتمع اسلامي سليم كمايصوره القرآن الكريم .

أسباب اختيار الموضوع:

1. غرس الإيمان وتقويته في القلوب من خلال الاعتناء بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتدبراً، والتفكر في مخلوقات الله ﷻ ، وفي الأنفس وخاصة العقل الذي هو من أهم نعم الله على الإنسان، والإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر.
2. تحقيقاً للغاية التي خلقنا الله من أجلها وهي العبادة ، حيث قال ﷻ : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56]
3. بناء العقل بأفضل وأمثل الطرق، كيف لا وهو مناط التكليف، فمن فقد هذه النعمة تخبط في هذه الدنيا كالدواب.
4. تربية الأجيال على العقيدة الصحيحة السليمة من خلال معرفة قيمة العقل وكيف نتعامل معه (دون إفراط أو تفريط)

5. خدمة كتاب الله ﷻ وشكر الله على نعمة العقل.
6. افتقار المكتبة الإسلامية إلى دراسة علمية محكمة تغطي هذا الموضوع من ناحية تفسيرية موضوعية.
7. عناية كثير من الناس بالبناء الجسدي دون العقلي.
8. الاهتمام بالجانب الخلقي والسلوكي وذلك عن طريق الاستغلال السليم للعقل، فالعقل السليم هو منبع الخلق القويم والسلوك السوي.

أهداف البحث وغاياته:

لهذا البحث أهداف كثيرة وغايات عديدة أذكر منها:

1. ابتغاء مرضاة الله ﷻ فهي أهم وأعظم غاية يرجوها الإنسان في الدنيا والآخرة وهي ما أرجوها من كتابة هذا البحث.
2. استجابة وتحقيقاً لقول الرسول ﷺ : **(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له)** [1].
3. تقديم دراسة موضوعية قرآنية تبين طرق البناء العقلي مما يُثري المكتبة الإسلامية.
4. تقديم الحجة على الذين نظروا للعقل نظرة غير صحيحة بإفراط أو تفريط.
5. إبراز أهمية نعمة العقل عند الإنسان والحث على المحافظة عليه وتسخيره في كل ما يرضي الله ﷻ .

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع على ما كتب حول موضوع العقل في العديد من المكتبات والمواقع الإلكترونية لم أعثر على رسالة علمية تناولت هذا الموضوع، كدراسة تفسيرية موضوعية مستقلة متخصصة ومحكمة.

ولكني وقفت على عدة كتب منها:

1. التربية العقلية، لعلي عبد الحليم محمود، وهو كتاب مطبوع.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب في الوقف، ص(325)، ح(1376). قال الشيخ الألباني: هذا الحديث حسن صحيح.

2. العقل والعلم في القرآن الكريم، ليوسف القرضاوي، وهو كتاب مطبوع.

3. خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، لعبد المجيد النجار، وهو كتاب مطبوع.

وبعد الاطلاع على موضوعات الدراسات السابقة خطر لي أن هؤلاء العلماء قد تناول كلٌّ منهم الموضوع من نواحٍ متعددة ومفيدة وعقائدية فكرية، ولم تكن دراسات أكاديمية محكمة.

أما هذا البحث فسيتناول موضوع البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم "دراسة موضوعية شاملة".

وقد راسلت مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،فأفادوني أنه لم يكتب في هذا الموضوع رسالة علمية ، فأسأل الله أن أتشرف بالسبق للكتابة في هذا الموضوع.

منهج الباحثة:

اتباع المنهج الاستقرائي الوصفي وذلك من خلال:

1. استقراء آيات العقل الصريحة وغير الصريحة وجمعها وترتيبها ودراستها دراسة تحقق تفسيراً موضوعياً متكاملاً.
2. وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب مستخدمة الألفاظ القرآنية ما أمكن.
3. تفسير الآيات بالتفسير المأثور والتفسير بالرأي المحمود، والاستفادة من النوعين حسب طبيعة البحث.
4. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق بعزو النقولات والأقوال المقتبسة إلى أصحابها وتوثيقها حسب الأصول.
5. ترجمة الأعلام غير المشهورة، والأماكن التي وردت في البحث ما أمكن.
6. عزو الآيات المستشهد بها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.
7. الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث وعزوها إلى مظانها، وذلك حسب ضوابط وأصول التخريج، ونقل أقوال العلماء في الحكم على الأحاديث من غير الصحيحين ما أمكن.
8. ذكر اسم الكتاب و المؤلف كاملا في أول ورود، ثم ذكر اسم الكتاب مختصرًا بدون اسم مؤلفه،بينما كتب التفسير أذكر فيها اسم الكتاب ومؤلفه مختصراً.

9. توضيح معاني المفردات الغريبة التي تحتاج إلى بيان في الحاشية من خلال المعاجم اللغوية.
10. الاعتماد على المصادر الأصلية من كتب التفسير والاستفادة من المراجع العلمية الحديثة المعاصرة التي تتناول الموضوع أو تتحدث عن بعض جوانبه.
11. عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث وتسهل الوصول إلى المعلومات.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس.

المقدمة :

وتشمل أسباب اختيار الموضوع، وأهميته وأهداف البحث وغاياته، والدراسات السابقة، ومنهج الباحثة، بالإضافة إلى هيكلية البحث.

التمهيد

البناء العقلي بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية

ويحوي:

أولاً: البناء لغة واصطلاحاً واستعمالاته القرآنية.

ثانياً: العقل لغة واصطلاحاً.

ثالثاً: العقل ومشتقاته في السياق القرآني.

رابعاً: الاستعمالات القرآنية لمشتقات لفظ العقل.

الفصل الثاني

أصحاب العقول بين الإعمال والتعطيل في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصحاب العقول وأصنافهم في القرآن.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أولو الألباب والنُّهى.

المطلب الثاني: من أوتي الحكم والحكمة.

المطلب الثالث: ذوو الحجر وأولو الأبصار.

المبحث الثاني: بيان القرآن لأناس أعملوا عقولهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج لمن أعملوا عقولهم.

المطلب الثاني: ثمرات إعمال العقل.

المبحث الثالث: بيان القرآن لأناس عطلوا عقولهم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالذين عطلوا عقولهم وذكر أصنافهم.

المطلب الثاني: آثار تعطيل العقول.

المطلب الثالث: صور لتعطيل العقول.

المطلب الرابع: عاقبة تعطيل العقول.

الفصل الثالث

نظرة الناس للعقل وعلاقته بالنقل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النظرة الصحيحة السليمة للعقل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصحاب النظرة الصحيحة للعقل.

المطلب الثاني: طبيعة النظرة الصحيحة للعقل.

المبحث الثاني: النظرة الخاطئة للعقل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصحاب النظرة الخاطئة للعقل.

المطلب الثاني: طبيعة النظرة الخاطئة.

المبحث الثالث: العلاقة بين العقل والنقل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم النقل وسبب الصراع بينه وبين العقل.

المطلب الثاني: تكامل العقل والنقل.

المطلب الثالث: دفع التعارض بين العقل والنقل.

التمهيد

البناء العقلي بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية

ويحوي:

أولاً: البناء لغة واصطلاحاً واستعمالاته القرآنية.

ثانياً: العقل لغة واصطلاحاً.

ثالثاً: العقل ومشتقاته في السياق القرآني

رابعاً: الاستعمالات القرآنية لمشتقات لفظ العقل.

التمهيد

البناء العقلي بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية

أولاً: البناء لغة واصطلاحاً واستعمالاته القرآنية.

1- البناء لغة:

"بَنَى البنّاءُ البِناءَ يَبْني بَنْياً وبِناءً، وبِنىً، مقصور.

والبَنِيّةُ: الكعبةُ، يُقالُ: لا وربِّ هذه البَنِيّة". [1]

والمِبناةُ: تكون مستديرة عظيمة واسعة كهيئة القبّة، ويُسكنُ فيها من المطر، ويُكنّون رحالَهم ومتاعَهم[2].

قال ابن فارس[3]:

"بنى : الباء والنون أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض".[4]

قال ابن منظور[5]:

"والبَنْيُ: نقيض الهدم.. والبناءُ: المَبْنيّ...

والبَنَّاءُ: مدبر البنيان وصانعه.

وقد تكون البناية في الشرف"[6].

---

(1) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (382/8) – تهذيب اللغة لأبي منصور محمد ابن أحمد الأزهري، (490/15).

(2) انظر كتاب العين ، (382/8).

(3) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسن من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين وأقام في همذان، وانتقل إلى الري وتوفي بها سنة 395هـ. انظر: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزِركلي. (193/1).

(4) معجم المقاييس في اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ص(156).

(5) هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب لسان العرب، الإمام اللغوي الحجة، أشهر كتبه لسان العرب، جمع فئة أمهات كتب اللغة، فكان يغني عنها جميعاً. انظر: الأعلام (108/7).

(6) لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور (باختصار) (89/14).

قال الزمخشري:

"بنى بيتاً أحسن بناء وبنيان، وهذا بناءٌ حسن وبنيان حسن ﴿...**كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ [الصَّف:4] .

ومن المجاز: بنى على أهله دخل عليها...

وقالوا: بنى بأهله : أعرس بها .." [1] .

الخلاصة في المعنى اللغوي:

معاني البناء:

1- البناء : بناء الشيء بضم بعضه على بعض على صفة يراد بها الثبوت.

2- البناء في العمران[2].

3- البناء في الشرف.

4- البناء نقيض الهدم[3].

2- البناء اصطلاحاً:

1- البناء في الأصل مصدر أطلق على المبني بيتاً كان أو قبة أو خباء أو طرافاً ومنه بنى بأهله أو على أهله.[4]

2- بناءً: أي سقفاً.[5]

3- البناء في كلام العرب هو ما رفع سمكه على الأرض ، ليقي صاحبه من الأضرار النازلة سواء كان من حجر أو شعر أو من أدم، واشتهر إطلاق البناء على القبة التي تكون من أدم.[6]

---

(1) أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ص (31).

(2) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ص(241).

(3) انظر: لسان العرب،(89/14).

(4) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد، للحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، (22/1)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود، لمحمد بن محمد بن مصطفى العمادي، (131/1).

(5) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (102/1) ، تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد النسفي (65/1)، تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (237/1) .

(6) انظر: تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (332/1).

4- "أصل البناء: وضع لبنة على أخرى"[1].

التعريف الاصطلاحي كما تراه الباحثة:

البناء هو ما رفع سمكه علي الأرض سواء كان بيتاً،أو قبة ،أو خباءً ،أو طرافاً،صنع من حجر أو ادم،أو من شعر؛للوقاية من الأضرار النازلة0

الاستعمالات القرآنية للبناء:

معاني البناء في القرآن:

البناء في القرآن يأتي على ثلاثة أوجه[2] :-

الوجه الأول: البنيان الصرح ، قال تعالى ﴿ ...**فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ...** ﴾ [النحل:26] يعني الصرح.

الوجه الثاني: البنيان المسجد، قال تعالى﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ...** ﴾ [التوبة:109]

الوجه الثالث: البنيان يعني الأتون (بيت النار)، قال تعالى:﴿ **قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ** ﴾ [الصافات:97]

وهناك وجه رابع[3]: بمعنى تشبيه صف الغازين بالجدران المرصوصة ، حيث يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾ [الصَّف:4]

ثانياً: العقل لغة واصطلاحاً:

1- العقل لغة:

العَقْل: "نقيض الجَهْل. عَقَل يَعْقِل عَقْلاً فهو عاقل. والمَعْقُولُ: ما تَعْقِلُه في فؤادك. ويقال: هو ما يُفْهَمُ من العَقْل، وعَقَلَ بطنُ المريض بعدما اسْتَطْلَقَ: اسْتَمْسَكَ.

---

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، (84/1).

(2) انظر:الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الدامغاني، ص(126)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (605/2) ، (463/2).

(3) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (277/2).

والعَقِيلةُ: المرأةُ المُخَدَّرَة، المَحْبُوسَة في بيتها.

والعقل: الحصن"[1].

والعقل في كلام العرب: الدية، وسميت عقلاً ؛ لأن الدية كانت عند العرب من الإبل يسوقها القاتل إلى فناء ورثة المقتول، ثم يعقلها بالعقل ويسلمها إلى أولياء المقتول. وقيل لأنها تمسك الدم[2].

قال ابن منظور:

1. العَقْلُ الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، رَجُل عاقِلٌ: وهو الجامع لأَمره ورَأْيه مأْخوذ من عَقَلْتُ البَعيرَ إِذا جَمَعْتَ قوائمه.
2. العقل: المتثبت في الأمور.
3. العقل: القلب والقلب العقل.

وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك ، أي يحبسه.

4. العقل : هو التميز الذي به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان.

ويقال لفلان قلب عقول، ولسان سئول، وقلب عقول: فهمٌ ، وعقل الشيء يعقله عقلاً: فَهِمهُ[3].

والعقل: 1- القوة المتهيئة لقبول العلم.

2- العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة[4].

العقل عند الجرجاني[5]:

أ. العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل.

---

(1) كتاب العين، (159/1)، كتاب جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، (128/3).

(2) لسان العرب ، (458/11) ، معجم المقاييس في اللغة، ص(672).

(3) لسان العرب ، (458/11)

(4) انظر:مفردات ألفاظ القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ص(577)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ "معجم معاني كلمات القرآن الكريم" لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي الشافعي المعروف بالسمين، ص(375)، بصائر ذوي التمييز، (85/4).

(5) هو علي بن محمد الجرجاني ابن الشريف الجرجاني، فاضل من أهل شيراز ولد ونشأ بالمحلة، وسافر إلى الشام، وأخذ عن علمائها، وتوفي بمكة، من كتبه النجمة الزاهرة. انظر: الأعلام (288/6).

ب. هو جوهر مجرد عن المادة متعلق بالبدن، تعلق التدبير والنصرة.

ج. العقل: ما يعقل به حقائق الأشياء فيمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل، وقيل محله الرأس وقيل محله القلب(1).

2- **العقل اصطلاحاً**: اختلف العلماء في تعريف العقل على أقوال كثيرة، منها:

أ. **العقل:** مأخوذ من عقال الدابة الذي تشد به ركبة البعير، فيمنعه من الشرود وكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود. (2)

ب. **العقل** : الإدراك المانع من الخطأ. (3)

ج. **العقل:** 1- المنع 2- الدية 3- نقيض الجهل. (4)

د. **العقل** : النور الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية، فهو يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن. (5)

ه. **العقل:** قوة باطنية يميز المرء بها بين الصالح والفاسد والنافع والضار. (6)

و. **العقل:** مجموع علوم تعقل الحي عن القبيح ويفعل الكثير من الواجبات؛ لأجلها.(7)

ويلاحظ من التعاريف السابقة:

1. إن هذه التعاريف كانت مقاربة لتعريف العقل عند أهل اللغة، ولعل العلماء فسروا العقل بما جاء على لسان العرب.
2. التعاريف السابقة يستنتج من مجموعها أن مفهوم العقل المنع والاستمساك.

---

(1) انظر: معجم التعريفات، لعلي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، ص (128).

(2) انظر: معالم التنزيل في التفسير والتأويل، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، (74/1).

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، (137/1)، البحر المحيط (338/1).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (358/1)، فتح القدير، (121/1)

(5) انظر: إرشاد العقل السليم، (194/1)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، مج 1 (393/1)، روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي ، (125/1).

(6) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري، (42/1)

(7) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (157/1)

3. بعض العلماء زاد في تعريفه للعقل بأنه علوم ضرورية ونظرية تحبس المرء عن فعل القبيح وتعقله على ما يحسن.

4. التعاريف السابقة لم تكن جامعة مانعة لتعريف العقل، بل فات العلماء معانٍ أخرى للعقل.

وترى الباحثة أن معنى العقل يستعمل على أربعة معان: الغريزة المدركة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم.

وسبب اختياري لهذا التعريف أنه يعد جامعاً شاملاً لمعاني العقل؛ حيث جاء في تعاريف العلماء للعقل هذا التعريف، ومنها:

الأول: الغريزة التي في الإنسان، فيها يعلم ويعقل، وهي فيه كقوة البصر في العين، والذوق في اللسان، فهي شرط في المعقولات والمعلومات وهي مناط التكليف وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان.

الثاني: العلوم الضرورية، وهي التي لا يخلو منها عاقل؛ كالعلم بالممكنات والواجبات والممتنعات، ومن أعظمها في الفطرة الإقرار بالخالق.

الثالث: العلوم النظرية وهي التي تحصل بالنظر والاستدلال والتجارب وتفاوت الناس وتفاضلهم فيها، أمر جلي وواقع.

الرابع: العمل الذي يكون بموجب تلك العلوم(1).

فتعريف العقل بذكر بعض معانيه، والاقتصار عليها ليس بجامع، والصواب ذكر معانيه مجتمعة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

بعد استعراض معاني العقل في اللغة نجدها جميعاً تدور حول معنى واحد وهو الحبس والمنع والإمساك، ومنهم من عرف العقل بأنه القوة المتهيئة لقبول العلم، ومنهم من قال إن العقل هو العلم الذي يستفيده المرء من تلك القوة، وهو ما يميزه عن سائر الحيوان، وكذلك بعد استعراض معاني العقل في الاصطلاح نجدها متقاربة جداً لمفهوم العقل في اللغة، فالعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي متقاربة إلى حد كبير، إن لم تكن المعنى نفسه؛ ولعل السبب يرجع

---

(1) انظر: أدب الدنيا والدين، ص(34، 36)، إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (115/1، 116)، مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، (287/9) ، (336/16).

إلى أن من فسر العقل اصطلاحاً فسره كما عند علماء اللغة، وهي نوع من أنواع التفسير؛ لـــذلك جاء المعنى الاصطلاحي مطابقاً إلى حد كبير للمعنى اللغوي.

ولكن المعنى الاصطلاحي الذي اخترته كان شاملاً جامعاً للمعنيين اللغوي والاصطلاحي، ومكملاً لما نقص منها.

تعريف البناء العقلي في القرآن:

استجابة المرء لدعوة القرآن بإعمال عقله، واستفادته من عرض القرآن للعديد من الأسئلة والحوارات واعتماده أسلوب القصص والأمثال، والتفكير العلمي بالنظر في آيـــات الله، وإيمانـــه بالغيب.

ثالثاً : العقل و مشتقاته في السياق القرآني[1]:

م	الشاهد من الآية	السورة	رقم الآية	النزول
1.	﴿ ...ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.	البقرة	75	مدني
2.	﴿ ...كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	البقرة	73	مدني
3.	﴿ ...وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	البقرة	44	مدني
4.	﴿ ...بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	البقرة	76	مدني
5.	﴿ ...كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	البقرة	242	مدني
6.	﴿ ...وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	آل عمران	65	مدني
7.	﴿ ...قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	آل عمران	118	مدني
8.	﴿ ...وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	الأنعام	32	مكي
9.	﴿ ...ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	الأنعام	151	مكي

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ص(575)، الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، (55/1)

م	الشاهد من الآية	السورة	رقم الآية	النزول
.10	﴿ ...وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	الأعراف	169	مكي
.11	﴿ ...فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	يونس	16	مكي
.12	﴿ ...إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	هود	51	مكي
.13	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	يوسف	2	مكي
.14	﴿ ...وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	يوسف	109	مكي
.15	﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	الأنبياء	10	مكي
.16	﴿ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	الأنبياء	67	مكي
.17	﴿ ...وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	المؤمنون	80	مكي
.18	﴿ ...كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	النور	61	مدني
.19	﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	الشعراء	28	مكي
.20	.﴿ ...وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	القصص	60	مكي
.21	﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾.	يس	62	مكي
.22	﴿ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	الصافات	138	مكي
.23	﴿ ...وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	غافر	67	مكي
.24	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	الزخرف	3	مكي
.25	﴿ ...قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	الحديد	17	مدني
.26	﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾.	الملك	10	مكي

م	الشاهد من الآية	السورة	رقم الآية	النزول
27.	﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾.	العنكبوت	43	مكي
28.	﴿ ...وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	البقرة	164	مدني
29.	﴿ ...أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾.	البقرة	170	مدني
30.	﴿ ...صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	البقرة	171	مدني
31.	﴿ ...ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.	المائدة	58	مدني
32.	﴿ ...يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.	المائدة	103	مدني
33.	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.	الأنفال	22	مدني
34.	﴿ ...أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾.	يونس	42	مكي
35.	﴿ ...وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.	يونس	100	مكي
36.	﴿ ...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	الرعد	4	مختلف فيها وأكثر الناس أنها مكية
37.	﴿ ...وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	النحل	12	مكي
38.	﴿ ...تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	النحل	67	مكي
39.	﴿ ...فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾.	الحج	46	مدني
40.	﴿ ...أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ ﴾.	الفرقان	44	مكي
41.	﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	العنكبوت	35	مكي
42.	﴿ ...لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.	العنكبوت	63	مكي

م	الشاهد من الآية	السورة	رقم الآية	النزول
43.	﴿ ...فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	الروم	24	مكي
44.	﴿ ...كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	الروم	28	مكي
45.	﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾.	يس	68	مكي
46.	﴿ ...قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾.	الزمر	43	مكي
47.	﴿ ...وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	الجاثية	5	مكي
48.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.	الحجرات	4	مدني
49.	﴿ ...تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.	الحشر	14	مدني

يُلاحَظُ من الجدول السابق أن الآيات المكية وردت في إحدى وعشرين سورة، هي كالتالي:-

1- سورة يونس والعنكبوت، ورد ذكر العقل فيها في ثلاثة مواضع.

2- الأنعام ويوسف والنحل والأنبياء والروم ويس، ورد ذكرمشتقات العقل فيها في موضعين.

3-الأعراف وهود،الرعد،المؤمنون،الفرقان،الشعراء،القصص،الصافات،غافر،الزمر،

الزخرف،الجاثية،الملك ورد ذكر مشتقات العقل فيها في موضع فقط.

أما الآيات المدنية، فقد وردت في تسع سور، وهي كالتالي:

1- سورة البقرة، ورد ذكر مشتقات العقل فيها في ثمانية مواضع.

2- سورة آل عمران والمائدة، ورد ذكر مشتقات العقل في موضعين.

3- ورد ذكر مشتقات العقل في موضع واحد في السور التالية: الأنفال، الحج، النور، الحجرات، الحديد ، الحشر.

دلالات الآيات المكية والمدنية:

1- يلاحظ ورود مشتقات لفظ العقل في واحد وثلاثين موضعاً، في إحدى وعشرين سورة مكية.

2- أما ورودها في السور المدنية فكان في ثمانية عشر موضعاً، في تسع سور مدنية.

3- يلاحظ أن ورود مشتقات لفظ العقل في السياق المكي أكثر منه في المدني؛ حيث قاربت مواضع المكي ضعف مواضع المدني، ولعل ذلك يرجع لأسباب منها:

أ. إن القرآن عندما نزل ابتداءً كان يستحث ويستثير العقول إلى معرفة خالقها وبارئها، فإن فكرت التفكير السليم الصحيح اهتدت بعقلها إلى خالقها؛ لذلك كانت الآيات تدعو للنظر والتدبر والتفكر، فقامت الدعوة للإيمان أولاً على الإقناع لأن الحاجة إلى إعمال العقل في مكة أكبر إذ لو أعمل الناس عقولهم لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ب. كان حديث القرآن أولاً للعقل، ولم يكن للقلب؛ لأن الإيمان لم يكن بعد قد دخل فيه، حتى يحدثه، فكان خطابه في المكي للعقل ثم في المدني جمع بين الخطاب للعقل والعاطفة معاً.

ج. القرآن الكريم عندما نزل كان تحدياً لما اشتهر به العرب من البلاغة والفصاحة، فكان حديثه للعقول التي تفكر وتفهم، فتحاول أن تحاكي القرآن ثم عند عجز عقولهم يسلمون للقرآن بإعجازه، وأنه من عند الله، وأنه كلامه فيؤمنون بالله.

رابعاً: الاستعمالات القرآنية للفظ العقل:

1- مشتقات لفظ العقل:

الرقم	الشاهد من الآية	المفرد (المشتق)	السورة ورقم الآية
1	﴿ ...مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.	عقلوه – فعل ماض	البقرة (75)
2	﴿ ...وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	تعقلون – مضارع	البقرة (44) وغيرها من المواضع
3	﴿ ...نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾.	نعقل– مضارع	الملك (10)
4	﴿ ...نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾.	يعقلها – مضارع	العنكبوت (43)
5	﴿ ...وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	يعقلون– مضارع	البقرة (164) وغيرها من المواضع

ملاحظات من الجدول السابق والجداول ص (8–11):

1. أن كلمة عقل في القرآن الكريم لم ترد اسماً ولا مصدراً ولا مشتقاً ولا فعل أمر.
2. أن مشتقات لفظ العقل وردت في القرآن بصيغة الفعل الماضي (عقل) والفعل المضارع (يعقل) بصيغة المفرد والجمع. فقد ورد الفعل الماضي "عَقَلَ"[1] في آية واحدة، وورد الفعل المضارع "يعقلُ" في ثماني وأربعين آية، منها: آية واحدة ذكر فيها (نَعْقِل) [2] وآية أخرى ذكرت فيها كلمة (يَعْقِلُهَا) [3] ، واثنتان وعشرون آية ذكرت فيها كلمة(يعقلون)[4]، وأربع وعشرون آية ذكرت فيها كلمة (تعقلون) [5].
3. هذه الصيغ ورد بعضها مسبوقاً بالحث على العقل، أو الاستفهام أو الاستنكار أو النفي.
4. الملاحظ مما سبق أن القرآن لم يستعمل (العقل) بلفظ الاسمى المصدري، وإنما استعمل الفعل منه "يعقل" وهي مسألة تسترعي النظر والتفكير وتدل على أن القرآن لم يقصد مجرد العقل، بل المراد منه إعمال هذا العقل وما يكون من ثمرات إعمال هذا العقل ومن أهمها الإيمان.

2– مرادفات العقل في القرآن الكريم

للعقل أسماء عديدة، فمن أسمائه : اللب، والحجى ، والحجر، والنهى[6].

وقد ذكرت أن العقل لم يرد في القرآن الكريم مصدراً؛ ولعل المقصود منه ليس مجرد العقل، بل المراد منه ما ينتج من العقل من أعمال، ولكن وَرَدَ في القرآن مرادفات وأسماء للعقل منها (الألباب – النهى – الحجر) [7] .

---

(1) ﴿... وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75]

(2) ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10]

(3) ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 43]

(4) ﴿ ....قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170] وانظر: [البقرة: 164، 171]، [المائدة: 58، 103]، [الأنفال : 22] ، [يونس: 42، 100] ، [الرعد: 4] ، [النحل: 12، 67]، [الحج: 46]، [الفرقان: 44]، [العنكبوت: 35، 63] ، [الروم : 24، 28] ، [يس: 68]، [الزمر: 43] ، [الجاثية : 5] ، [الحجرات : 4] ، [الحجر : 14] .

(5) ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]، وانظر: [البقرة:73، 76، 242]،[آل عمران:65، 118]، [الأنعام: 32، 151]، [الأعراف: 169] ، [يونس: 16]، [هود: 51]، [يوسف : 2، 109]، [الأنبياء:10، 67] ، [المؤمنون: 80] ، [النور: 61] ، [الشعراء: 28]، [القصص:60]، [يس: 62] ، [الصافات: 138]، [غافر: 67] ، [الزخرف: 3] ، [الحديد: 17] .

(6) انظر: الكليات، ص (619، 620).

(7) سيأتي بيان ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني، ص (98 ،110، 102).

3 _علاقة العقل بالقلب والفؤاد :

أ – القلب بمعنى العقل:

لفظ القلب في الكتاب العزيز جاء في نحو مائة وأربع وعشرين آية بصيغه المختلفة؛ وذلك لأهمية القلب.

وقد استعمل القرآن لفظ القلب بمعنى (العقل) في الكثير منها، ومن ذلك:

في قوله تعالى : ﴿ ...لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا... ﴾ [الأعراف: 179].

في قوله تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا... ﴾[الحج: 46].

في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْءانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: 24].

وذكر الدامغاني [1] "أن القلب في القرآن يأتي على ثلاثة أوجه: العقل، والرأي، والقلب بعينه الذي في الصدر، فأحد هذه الوجوه القلب ، يعني: العقل، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:37] يعني: عقل"[2] .

وكثير من العلماء فسر القلب بالعقل، ومن ذلك:

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: 37] ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾أي:لب يعي به،وقال مجاهد[3]: عقل[4].

ومن العلماء من عرف العقل بأنه نور في القلب يعرف الحق والباطل[5].

---

(1) هو حسين بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الدامغاني، فقيه حنفي، نسبة إلى دامغان، بين (الري ونيسابور)، له كتب منها الوجوه والنظائر في علوم القرآن، والمجرد في الحكايات، توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة هجرية. انظر: الأعلام (254/2).

(2) الوجوه والنظائر، ص (385).

(3) هو مجاهد بن جبر، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، مات مجاهد وهو ساجد سنة ثنتين ومائة وقيل غير ذلك. انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، (174/1).

(4) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (228/4).

(5) معجم التعريفات ، ص (120).

فلهذا كله كان لا بد أن توجد علاقة قوية بين العقل والقلب، ومما يؤكد هذا أن من العلماء من يقول بأن محل العقل هو القلب، وهذه مسألة خلافية بين العلماء، ولذلك قبل معرفة العلاقة بين العقل والقلب لا بد من الوقوف على هذه المسألة ألا وهي أين محل العقل ؟

العقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا... ﴾ [الحج: 46].

ولكن لفظ القلب قد يراد به أحد أمرين:

1. المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن، التي جوفها علقة سوداء كما في الصحيحين ، عن النبي ﷺ: **(إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)** [1].
2. وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً، فإن قلب الشيء باطنه، كقلب الحنطة واللوزة ونحو ذلك، وعلى هذا فإن أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضاً، ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ.

ولكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ، ومبدأ الإرادة في القلب.

والعقل -كما سبق ذكره- يراد به العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصوراً ، فيكون منه هذا وهذا وابتداء ذلك من الدماغ ، وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء[2].

ب- الفؤاد بمعنى العقل:

وفي مواضع أخرى من القرآن يرد لفظ (الفؤاد)بمعنى العقل قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:36].

والفؤاد كالقلب، لكن يقال له (فؤاد) إذ اعتبر فيه معنى التَفَؤدِ، : أي الوقد، قال تعالى ﴿ مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النَّجم:11] [3].

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه (1/ 19).
(2) انظر: مجموع فتاوى أحمد ابن تيمية، (9 /303).
(3) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص(646)

فالآيات القرآنية الكثيرة التي تذكر القلب ويراد بها العقل، تبين لنا الارتباط الوثيق بين العقل والقلب في مجال العقيدة والمعرفة، والمؤمن هو الذي يقوم إيمانه على العقل والوجدان معاً، أي بين الفكر والشعور، فالعقل يلتقي بالقلب على الغاية الواحدة، فوظيفة العقل النظري في الغايات والأسباب والمسببات، أما الوجدان فيطلعنا على الشعور الروحي الباطني ولا ينتفع بأحدهما حتى يتم الانتفاع بالآخر، والمعرفة ليست عقلية خالصة، ولا وجدانية خالصة، ولكنها مزيج بينهما؛ لأن القلب هو منبع الأحاسيس والعواطف والمشاعر، والعقل هو مصدر المفاهيم والإرادة، وحقيقة المعرفة إنما تتم بنظرة جامعة بين العقل والقلب، فكان كلٌ منهما مكملاً للآخر.[1]

---

(1) انظر: كتاب معلمة الإسلام، تأليف أنور الجندي، ص(241–252).

الفصل الأول

طرق البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دعوة القرآن لإعمال العقل.

المبحث الثاني: الحث على التفكير العلمي بالنظر في آيات الله.

المبحث الثالث: الإيمان بالغيب و دوره في البناء العقلي.

المبحث الأول
دعـوة القــرآن لإعمــــال العقـــل

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عرض القرآن للعديد من الأسئلة والحوارات.

المطلب الثاني: اعتماد القرآن لأسلوب القصص والأمثال.

المطلب الثالث: تزويد العقل بالعلم والمعرفة.

المطلب الرابع: العقل وعلاقته بالحواس.

المبحث الأول

دعـــوة القرآن لإعمال العقل

لقد دعا القرآن الكريم لإعمال العقل؛ لأن ثمرة العقل هي العمل الذي يقوم بـــه، وقـــد تمثلت دعوة القرآن بعرضه للكثير من الأساليب القرآنية التي كانـــت لهـــا علاقـــة واضـــحة بالعقل، فعرض القرآن للعديد من الأسئلة والحوارات، واعتمد اعتماداً كبيـــراً علـــى أســـلوب القصص والأمثال، كما أنه أمر بالعلم والمعرفة وحث عليهـــا، ببيـــان فـــضلهما وأهميتهمـــا، ووضح علاقة العقل بالحواس، وبين أنها قوية ومترابطة.

المطلب الأول: عرض القرآن للعديد من الأسئلة والحوارات:

أولاً : عرض القرآن للعديد من الأسئلة.

1- معنى السؤال:

هو استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، أو ما يؤدي إلـــى المـــال، فاســـتدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه علـــى اليد، واليد خليفة له؛ إما بوعد أو بردّ.

والسؤال ما يسأل، ومنه ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:36] (1)

2- أنواع السؤال:

يقول ابن الأثير(2):

"السؤالُ في كتاب اللّه والحديث نوعَانِ : أحدُهُما ما كان على وجْهِ التَّبْيين والتَّعلُّم ممَّا تَمَسُّ الحاجةُ إليه فهو مُباَحٌ أو مندُوبٌ أو مأمورٌ به، والآخر ما كانَ على طَرِيـــق التَّكلُّـــف والتعنُّت، فهو مكرُوه ومَنْهيٌّ عنه . فكُلّ ما كان من هذا الوَجْه ووقع السكوتُ عـــن جَوَابـــه فإنما هُو رَدْع وزَجْر للسَّائل وإن وقَعَ الجَوابُ عنه فهو عُقُوبَةٌ وتغليظٌ" (3)

---

(1) انظر: الكليات، ص (501)

(2) هو القاضي العلامة البارع البليغ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكـــريم الشيباني الجزري ثم المَوْصِلِي، الكاتب ابن الأثير صاحب "جامع الأصول" و "غريب الحديث" وغيرها، قرأ الحديث والعلم والأدب، توفي سنة ست وستمائة بالموصل. انظر: سير أعلام النبلاء (488/21).

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر ،لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الجزري ابن الأثير، ص(411)

3- السؤال في القرآن الكريم:

تعددت الأسئلة التي عرضها القرآن الكريم، فمنها ما هو في دار الدنيا ومنها ما هـــو في دار البرزخ، ومنها ما هو في دار الآخرة، وفيما يلي يتبين لماذا عرض القرآن الكـــريم للعديد من الأسئلة في سياقه.

أ. السؤال في دار الدنيا

السؤال في الدنيا قد يكون سؤال الله ﷻ، وقد يكون سؤال أهل العلم أو غير ذلك، فأما سؤال الله ﷻفهو العبادة، وأمرنا الله ﷻ بسؤاله في السر والعلانية، وفي التضرع والخفيـــة، وفي الفقر والغنى، وفي الصحة والمرض، وفي المنشط والمكره، والسراء والضراء، وفـــي جميع الأحوال ﴿...وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء:32] وقال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:186]

وروي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **(ينزل ربنا تبارك وتعالى كـــل ليلـــة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول : من يدعوني فأستجيب لـــه ، مـــن يـــسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له)** (1)

قال ابن رجب الحنبلي(2) رحمه الله "واعلم أنَّ سؤالَ اللهِ – تعالى – دونَ خلقــه هـــوَ المتعين ؛ لأنَّ السؤال فيهِ إظهار الذلِّ من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعترافُ بقدرةِ المسؤول على دفع هذا الضَّرر، ونيل المطلوب وجلـــبِ المنـــافع ودرء المـــضارِّ، ولا يصلح الذلُّ والافتقار إلاَّ لله وحدَه ؛ لأنَّه حقيقة العبادة" (3).

وقد يكون السؤال في الدنيا لأهل العلم، وقد أُمرنا بسؤال أهل العلم للتفقه فـــي ديننـــا ودنيانا وآخرتنا، قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:7]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، باب التهجد بالليل، وقوله ﷻ ومن الليل فتهجد به نافلة لك، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، (200/1)

(2) هو الإمام الحافظ العلامة زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، الدمشقي ،أبو الفـــرج ، المعروف بابن رجب، وهو لقب جده عبد الرحمن، وقد طغت هذه النسبة على اسمه حتى لا يكاد يعرف إلا بها، ولد في بغداد سنة ست وثلاثين وسبعمائة، سمع من كبار العلماء. انظر شذرات الـــذهب فـــي أخبار من ذهب، تأليف عبد الحي بن العماد الحنبلي (239/6)

(3) جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ص(193).

ب. السؤال في الدار الآخرة:

عرض القرآن الكريم الكثير من الأسئلة التي تطرح في الدار الآخرة، وقد يكون السؤال في الدار الآخرة من الخالق للمخلوق ، وقد يكون سؤال المخلوق ، ومن هذا:

- **سؤال الخالق للمخلوق:**

سؤال الله ﷻ للمخلوقات يوم القيامة إنما هو سؤال تقرير وتسجيل وتقريع لهم يوم القيامة، فالله ﷻ يعلم ما كان من أمرهم في الحياة الدنيا، والجواب عليه إقرار منهم باستحقاقهم هذا الجزاء في الآخرة، وقد وجّه الله ﷻ في كتابه ما سيكون يوم القيامة من سؤاله للملائكة والرسل والأمم والإنس والجن وجهنم.

قال تعالى ﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ** ﴾ [ق: 30]

يقول ابن كثير –رحمه الله –: "يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة ﴿ **هَلِ امْتَلَأْتِ** ﴾ وذلك أنه تبارك وعدها أنه سيملؤها من الجِنَّة والناس أجمعين، فهو ﷻ يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول ﴿ **هَلْ مِنْ مَزِيدٍ** ﴾ أي: هل بقي شيء تزيدوني"(1).

وعن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال : **(يلقى في النار وتقول : هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط)** (2).

- **سؤال العبد لأعضائه:**

قال تعالى ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾. [فصلت: 19-22]

---

(1) تفسير ابن كثير، (225/4)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة ق، (191/3)

أعداء الله يوم القيامة يلومون أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا علــيهم، فعنــد ذلــك أجابتهم الأعضاء ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ... ﴾ [فصلت: 21]

ثانياً: عرض القرآن للعديد من الحوارات.

لقد اهتم القرآن الكريم بالحوار اهتماماً كبيراً؛ وذلك لأنه سبيل قويمٌ للإقنــاع ونــشر مفاهيم الإسلام، وقد كان منهج الأنبياء –عليهم السلام– في مخاطبة عقول أقــوامهم، بهــدف هدايتهم وتصحيح معتقداتهم الفاسدة.

1- **معنى الحوار:**

قال الراغب [(1)]: "المحاورة والحوار هو المُرادّة من الكلام"[(2)] .

والحوار هو نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما دون أن يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن التعصب والخصومة[(3)].

2- **الحوار في القرآن الكريم:**

الحوار في القرآن الكريم ورد في ثلاثة مواضع: اثنان في سورة الكهف فــي قولــه تعالى:﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[الكهف:34] وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف:37] والموضع الثالث قولــه تعــالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: 1]

3- **أشكال الحوار:**

تعددت وتنوعت أشكال الحوار في القرآن الكريم ومنها [(4)] .

---

(1) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني)، المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء والعلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد واشتهر حتى كان يعرف بالإمام الغزالي، توفي سنة (502)هـ، انظر : الأعلام(225/2)

(2) مفردات ألفاظ القرآن، ص (262).

(3) انظر: أسلوب المحاورة في القرآن، لعبد الحليم حفني، ص (15)، فنون الحوار والإقناع لمحمــد راشــد ديماس،ص(11).الحوار أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية، ليوسف علي فرحات، ص(2).

(4) الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، تأليف سعود بن عبد الله الحزيمي (624/2).

أ. **حوار الله ﷻ مع الملائكة :**

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾. [البقرة: 30–33].

ب. حوار الله ﷻ مع الرسل والأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–:

قال تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه:17–18].

ج. حوار الله ﷻ مع إبليس لعنه الله:

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(٤٣) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٤٤) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ(٤٥) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ(٤٦) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(٤٧) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ(٤٨) إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ(٤٩) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٤٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٥١) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ(٥٢) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ(٥٣) ﴾. [الحجر 32–42].

د. حوار أصحاب الجنة وأصحاب النار:

قال تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:44]

4- **آداب وأخلاقيات الحوار:**

إذا كان الحوار من الوسائل الحضارية للوصول إلى الحق ، فلا يعني ذلك أن يختار المحاوران الوسيلة التي يراها كل واحد منهما أنها مناسبة، بل هناك آداب وأخلاقيات يجب أن يتحلى بها المتحاوران ويضبط بها الحوار، ومن هذه الآداب والأخلاقيات[1]:

أ. **الصدق والإخلاص:**

ينبغي للمحاور أن يدخل الحوار وهو متأكد أولاً أن نيته لله ﷻ؛ لأن هذا شرط في الفلاح والنجاح.

ب. **التواضع واحترام الآخر:**

إن الحوار القائم على التواضع واحترام الآخرين تكون نتائجه طيبة وآثاره حميدة، أما الحوار الذي مبعثه الغرور والتعالي فمن المستبعد أن يأتي بنتيجة توصل إلى حق أو حقيقة.

ج. **تجنب الاستئثار بالكلام:**

يجب على المحاور ألا يستأثر بالكلام لنفسه، ويحرم الطرف الآخر، وذلك بالإطالة التي تخرج به عن حدود الذوق.

د. **تجنب الاستطراد:**

الانحراف عن مسار الموضوع الأصلي والتشعب إلى فرعيات لا علاقة لها بالموضوع من آفات الحوارات والمناقشات، فهي مضيعة للوقت وتبديد للطاقة والجهد، وتكون المناقشة عقيمة سطحية عديمة الفائدة.

5- **الحوار وإعمال العقل :**

الهدف من عرض القرآن الكريم للكثير من الحوارات هو إعمال العقل، ويظهر ذلك في مخاطبة المحاورة للجانب العقلي للإنسان في جهتين، إحداهما: عرض الحقيقة نفسها وهو موضوع المحاورة؛ حيث يتاح لعقل المتلقي أن يفكر في هذه الحقيقة، والجهة الأخرى هي المباراة بين المتحاورين والصراع الفكري، فهذا يستدعي من كل منهما أن يشحذ عقله وينشط ذهنه، واستخدام العقل وتحريك التأمل من أهم أهداف القرآن في كل أساليبه [2].

---

(1) انظر الحوار أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية، ص (29، 30).

(2) انظر: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، ص (47)، لغة الحوار في القرآن الكريم، لفوز سهيل كامل نزال، ص (84).

المطلب الثاني: اعتماد القرآن لأسلوب القصص والأمثال.

أولاً : اعتماد القرآن لأسلوب القصص.

القصة القرآنية هي أحد الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم لتوصيل الهداية للناس، ولأخذ العبرة والعظة منها؛ وذلك لأن قصص القرآن كانت محكمة دقيقة تطرق المسامع بشغف وتنفذ إلى النفوس البشرية بسهولة ويسر، والمسامع لا تمل ولا تكل من سماعها والعقل إن فكر فيها جيداً جنى منها الثمار الكثيرة.

حتى في حياة الطفولة يميل الطفل إلى سماع الحكاية والقصة، والقصص القرآني مليء بقصص وسير الأنبياء وأخبار الأمم الماضية، فعلى المرء أن يعي فائدة القصص القرآني ولماذا اعتمده القرآن الكريم كأسلوب من أساليبه في التربية والتعليم، فكانت دعوة القرآن لإعمال العقل واضحة باعتماده القصص.

1- معنى القصص:

القصص تتبع الأثر، يقال قصصت أثره : أي تتبعته.

والقصص: الأخبار المتتبعة ، قال تعالى ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ** ﴾ **[**آل عمران:62**]**

وقصص القرآن: إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات والحوادث الواقعة(1).

2- أنواع القصص:

القصص في القرآن ثلاثة أنواع(2):

النوع الأول: قصص الأنبياء وتتضمن دعوتهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله بها، ومراحل الدعوة كقصة إبراهيم عليه السلام، ونوح وموسى وهارون -عليهم أفضل الصلاة والسلام-.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين أُخرجوا من ديارهم، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، وذي القرنين ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن النبي ﷺ كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، ونحو ذلك.

---

(1) مباحث في علوم القرآن، ص(316)

(2) انظر: منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب ص(157)، مباحث في علوم القرآن ص (317)

3- أهداف القصة القرآنية:

عند سرد القصة نجد أن القرآن الكريم يضمنها كثيراً من الحقائق والأسرار العلمية والتشريعية لتنفذ إلى النفس والعقل عن طريق غير مباشر، ومن أهداف القصة ما يلي[1]:

أ. إثبات قضايا العقيدة وهذا الهدف رئيس في قصص القرآن كله.

ب. تثبيت قلب الرسول ﷺ وقلوب أمته.

قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود:120]

ج. بيان أساليب الأنبياء في الدعوة إلى الله ومحاجتهم لأقوامهم لإثبات قضايا العقيدة.

د. إظهار إعجاز القرآن في بيانه وبلاغته واختراقه لحاجز الزمن الماضي.

ه. تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى[2].

القصص القرآني وعلاقته بإعمال العقل:

إن الهدف الأساس الذي يقف خلف العروض التاريخية يتمثل في إثارة الفكر البشري ودفعه للبحث عن الحق، وتقديم خلاصات للتجارب البشرية، والخروج بالعبر والعظات والسنن التي تحكم حركة الإنسان ومصيره وإزاحة ستار النسيان عنه، وإمداده بطاقات تضيء له الطريق، وتساعده على مقاومة الإغراءات تجنباً للمصير السيئ، فتساعده على الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

والقصص القرآني ضرب من ضروب الأدب، يصغى إليه السمع، وترسخ عبره في النفس، قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ... ﴾ [يوسف:111] ؛ لذلك قد اتخذها القرآن سبيلاً للإقناع والتأثير، وقد اعتمده كأسلوب من أساليبه؛ وذلك لأنه أحسن القصص فهو جزء من القرآن الكريم المعجز، حيث بلغ قصص القرآن النهاية في الإعجاز من حيث سياقه وفصاحته وبلاغته، وكذلك من حيث اشتماله على العبر والعظات والنكت والحكم والعجائب والفوائد.

---

(1) انظر : مباحث في علوم القرآن، ص (318) ، منهج القرآن الكريم في عرض قضايا العقيدة، لوليد محمد حسن العامودي، ص (253، 263).

(2) انظر: التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب ص (125).

ثانياً: اعتماد القرآن لأسلوب الأمثال.

لقد ظهرت دعوة القرآن لإعمال العقل واضحة باعتماده لأسلوب الأمثال في القرآن، حيث اعتمدها كغيرها من الأساليب للدعوة ، وذلك لما لها من أهمية عظيمة فأكثر من ذكرها ودعا الناس إلى أن يستمعوا إليها ويتدبروها ويتفكروا فيما تشير إليه من كرائم المعاني، ويعقلوا ما توحي به من غوالي الحكم والمواعظ.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا... ﴾ [الحج:73]

وقال تعالى: ﴿ ...وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم:25]

فجاءت الأمثال في القرآن لوناً من ألوان الهداية الإلهية تحض على الخير والبر أو تمنع من الإثم.

قال الزمخشري: "لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر ، شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الستار عن الحقائق،حتى تريك المتخيَّل في صورة المحقق، والمتوهَّم في معرض المتيقن، والغائب كأنّه مشاهد"[1].

1- معنى المثل في القرآن:

"هو إبراز المعنى المقصود في صورة رائعة موجزة واضحة، لها وقعها في النفس، سواء كانت تشبيهاً أو قولاً مرسلاً".[2]

2- أوجه المثل في القرآن:

يرد المثل في القرآن على عدة أوجه، منها[3]:

أ. المثل بمعنى السنن، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:214]

ب. المثل بمعنى العبرة، قال تعالى ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآَخِرِينَ ﴾ [الزُخرف:56]

---

(1) تفسير الكشاف، للزمخشري، (195/1).

(2) مباحث في علوم القرآن، ص(292).

(3) منهج القرآن في عرض قضايا العقيدة، ص(182).

ج. المثل بمعنى الصفة، قال تعالى: ﴿...ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ ...﴾ [الفتح:29]

د. المثل بمعنى العذاب : ﴿...وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم:45]

3- فوائد الأمثال:

إن ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه في أمور كثيرة: منها الوعظ والزجر والحث، و التذكير والاعتبار وترتيب مراد العقل وتصويره في صورة المحسوس، وتأتي الأمثال مشتملة على بيان الأجر والثواب والذم والمدح، وتفخيم الأمر وتحقيره، وتحقيق أو إبطال أمر ما. (1)

4- الأمثال وإعمال العقل:

الأمثال في القرآن إنما هي لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وهي حكم للشيء أو عليه، وفيها العبرة والتذكر لمن شاء أن يتذكر أو يأخذ عبرة، فهي خير باعث على التذكر والتفكر والاعتبار.

قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:21]

قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:25]

والأمثال تحتاج علماً يعين على إدراك ما فيها من العظات والحِكم والعبر وقد خص العلماء بفهم المراد منها ، قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:43]

وهي من إحدى وسائل الهداية، فهي وحدها كفيلة بهداية الناس وإنقاذهم مما يتخبطون فيه من ضلال وجهل.

(1) انظر: البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (486/1، 487)

المطلب الثالث: تزويد العقل بالعلم والمعرفة.

أولاً : معنى العلم والمعرفة:

العلــم : هو إدراك الشيء بحقيقته وهو ضربان: نظري وعملي.

فالنظري: ما لا يتطلب شيئاً أكثر من العلم به، فإذا عُلــم فقــد كمــل، مثــل العلــم بموجودات العالم.

والعملي: ما لا يتم إلا بأن يعمل به كالعمل بالعبادات والأخلاقيات ونحوها(1).

أما المعرفة: " إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره، وهو أخص من العلــم، ويــضاده الإنكــار، ويقال: فلان يعرف الله ولا يقال: يعلم الله متعديا إلى مفعول واحد، كما كانت معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يعــرف كــذا، لمــا كانــت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر "(2).

ثانياً: العلاقة بين العلم والمعرفة:

وإن كان هناك ثمة ترادف بين معنى العلم والمعرفة، من حيث إن كلاً منهمــا يعنــي إدراك الشيء على ما هو عليه، إلا أنَّ ثمّة تبايناً بينهما من الوجوه التالية:

1- تطلق المعرفة على إدراك البسيط ويطلق العلم على إدراك المركب، فتقــول عرفــت الله ولا نقول علمته(3).

2- تطلق المعرفة على ما تُدرك آثاره ولا تدرك ذاته، ويطلق العلم على مــا تــدرك ذاتــه؛ ولذلك يقال: عرفت الله، ولا يقال علمته(4).

3- المعرفة مسبوقة بجهل بخلاف العلم، وكذلك مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم؛ لذلك يقــال لله العالم دون العارف(5).

ثالثاً: أهمية العلم والمعرفة:

أشاد الإسلام بالعلم، وحث عليه، ورغب في طلبه، ونوه بمكانة أهلــه، وأعلــى مــن قدرهم، وبيّن فضل العلم وأثره في الدنيا والآخرة، وحض على التعلم والتعليم.

---

(1) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص (580)

(2) المرجع السابق، ص (560)

(3) انظر: معجم ألفاظ القرآن مجمع اللغة العربية، (35/2).

(4) انظر: معجم ألفاظ القرآن مجمع اللغة العربية، (35/2).

(5) انظر: التعريفات ، ص(218).

وحسبنا أن أول آيات نزلت من الوحي الإلهي على قلب رسول الله ﷺ أشارت إلى فضل العلم، حيث أمرت بالقراءة، وهي مفتاح العلم، ونوهت بالقلم وهو أداة العلم، وذلك قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:1-5]

وقد فرق الله ﷻ بين أهل العلم وأهل الجهل فلا يستويان ، قال تعالى ﴿ ...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ... ﴾ [الزُّمر:9]

وقال رسول الله ﷺ في فضل العلم: **(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)**(1).

يقول الإمام الغزالي -رحمه الله-: "فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو إذن أفضل الأعمال، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته! وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى، هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع... "(2).

رابعاً: طرق تزويد العقل بالعلم والمعرفة:

خلق الله ﷻ في الإنسان وسائل يصل بها إلى العلم الحق ، منها الضيق المحدود في عمله كاللسان والجلد والأنف، وبهذه الحواس نعرف الطعم والأثقال وملمس الأجسام والروائح، ومنها ما ميدان عمله واسع كالعين والأذن، وهناك فرق هائل بين من فقد الشم والطعم واللمس، وبين من فقد السمع والبصر في مجال العلم والمعرفة.

وحتى نزود العقل بالعلم الحق والمعرفة فهناك مصادر لهذا العلم منها(3):

1- **المخلوقات:** الأشياء المطعومة والمشمومة والمحسوسة والمرئية والمسموعة، وهذا المصدر عالم المشاهدة المحسوس فهو مصدر المعلومات اليومية التي يكتسبها الإنسان في كل يوم.

2- **التعليم الإنساني:** بواسطة اللغة، من هذا المصدر يأخذ الإنسان كل العلوم التي يجهلها ممن عرفها بواسطة اللغة؛ لأن التي يجهلها لم تقع في نطاق حسه

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، (24/1).

(2) إحياء علوم الدين، (21/1).

(3) انظر: توحيد الخالق، لعبد المجيد الزنداني (19/2)

مباشرة؛ حيث قامت الحضارة الإنسانية على هذه العلوم، وهي تمثل أكثر من 90% من العلوم الإنسانية التي تقدم في المدارس والجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية.

3- **الوحي:** وهو أرقى مصادر العلم؛ لأن علومه من لدن من أحاط علماً بكل شيء ولا يكون هذا إلا لمن اصطفاه الله من عباده، ويؤيد الله رسله، حملة وحيه بالآيات، والبينات، والمعجزات المصدقة لهم أنهم رسل من عنده.

وعلوم الوحي أعلى وأرقى العلوم بواسطتها نعرف خالقنا والحكمة من خلقنا وما يريده الله منا، ولماذا ومتى نموت، وما بعد الموت من حياة برزخية ومما يكون فيها، وكل هذا العلم البشري يقف عاجزاً عن معرفتها أو الإحاطة بها دون وحي الله، لذلك ليس للعاقل أمام ما يخبره به الوحي إلا الإيمان والتصديق.

المطلب الرابع: العقل وعلاقته بالحواس

الحواس من نعم الله ﷻ على الإنسان؛ حيث تسهم مع غيرها في الحفاظ على حياته، وهي أداة من أدوات العلم والمعرفة، فهي إحدى طرق المعرفة، وهي خمس حواس: السمع، والبصر، واللمس، والشم، والذوق.

أولاً: الحواس في القرآن الكريم:

لقد كان منهج القرآن الكريم في ذكره للحواس على أساس قيمتها المعرفية والإدراكية؛ حيث أظهر عملها ولم يتحدث عن تكوينها، بل تحدث عما يهم المعرفة من الحواس، واهتم وبين أهم حاستين للمعرفة وهما السمع والبصر وأكد على عملهما المعرفي مع العقل.

وقد ذكر القرآن الكريم السمع والبصر في مواضع كثيرة لاعتبارهما أهم حاستين للمعرفة، قال تعالى : ﴿ **وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [النحل:78] ، وقال تعالى ﴿ **...إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾ [الإسراء:36]

أما حاسة اللمس، فقد جاءت في القرآن على أنها مقدمة للإدراك البصري فهي وإن كانت من أدوات المعرفة لكنها من مؤيدات ومقويات التجربة والبصر، وذلك من أجل تأكيد

العلم الناشئ عن الإدراك الحسي، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأنعام:7]

نلاحظ أن القرآن الكريم جمع بين الحواس، بل بين أهم هذه الحواس، وهما السمع والبصر، وبين أهمية كلٍ منهما من وجهة النظر المعرفية، وقد تحدث عنهما بشكل موضوعي دقيق كأداتين من أدوات الإدراك التي يهتدي بهما الإنسان إلى أعلى أنواع المعرفة، وهي معرفة الله ﷻ، حيث يصعب على الإنسان أن يعرف شيئاً بدون هاتين الحاستين، بخلاف لو فقد حاسة الشم أو الذوق أو اللمس، فإن فقده لإحدى هذه الحواس يثير له المتاعب من ناحية حفظ حياته وسلامته، ولكنه من ناحية الإدراك والمعرفة يكون تأثره بفقد السمع والبصر أكثر؛ لذلك جمع القرآن الكريم بين حاستي السمع والبصر في مواضع كثيرة[1].

ثانياً: علاقة العقل بالحواس:

الحواس هي إحدى طرق المعرفة ولكنها لم تكن مصدراً مستقلاً، فإنها وإن كانت مهمة، بحيث إن تعطيلها يؤدي إلى تعطيل العقل، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف:179]

إلا أنه لم يجعلها مصدراً مستقلاً، بل إن الآيات الكثيرة في القرآن الكريم لتشير إلى أن الدور الأهم والأساس هو للعقل، فالعقل يحول المعرفة الحسية إلى معرفة عقلية، قال تعالى: ﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:78] فالحواس تؤدي دورها في تقديم مادة للعقل ، الذي يقف وراءها يجعل من هذه الإحساسات إدراكات ومعارف حقيقية[2].

خلاصة العلاقة بين العقل والحواس في القرآن تقوم على[3]:

1- عدم الاقتصار على كل واحد منهما بعينه، وعدم تفسير أحدهما بالآخر، فلا العقل حساً ولا الحس عقلاً.

---

(1) انظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، لراجح عبد الحميد الكردي، ص (549- 551)
(2) انظر: المرجع السابق، ص (589).
(3) انظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص (610)

2- يجتمع عمل الحس والعقل معاً، فالحس ليس طريقاً وحيداً، ولا مستقلاً، وإنما تعمل هي والعقل معاً.

3- الحواس والعقل معاً في مجال المحسوسات فحسب، وإن كان العقل منفرداً بقوانينه في معرفة ما وراء عالم الشهادة، وفي مجال عالم الحس تنتهي المعرفة الحسية أو التجريبية أو العلمية القائمة على الملاحظة والتجربة إلى معرفة عقلية، وهذا يعني أن الحس بإدراكاته لا معنى له إلا بالعقل.

بينما جعل القرآن للعقل قدرة على الاستدلال على وجود عالم الغيب من خلال قوانينه في عالم الشهادة بالنظر إلى المحسوسات، وتحويل هذا الإدراك الحسي إلى إدراك عقلي (حس وعقل معاً) أو باستدلاله بالقوانين العقلية التي منشؤها الحس، أو لا تتعامل مع الحس إنما بالاستنتاج أو الفكر.

الخلاصة:

نفهم مما سبق لماذا جاء القرآن الكريم مليئاً بالآيات التي توجه الإنسان إلى الكون من خلال حواسه، فينظر ويسمع ويرى ويلمس (أي يحس) ثم يعقل ذلك بتدبر وتذكر وتفكر؛ حيث يشير القرآن إلى العقل الذي ينظم ويصنف ويقارن ويوازن مع استخدام الحواس؛ حيث قام العقل باستقبال الآثار الحسية القادمة عن طريق الحواس، فجعل لها صورة في العقل، ثم حكم على هذه الصورة القادمة من الحواس؛ حيث هضم التجربة الحسية وجعلها معرفة عقلية، قال تعالى ﴿ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾. [الغاشية17-20].

المبحث الثاني
الحث على التفكير العلمي بالنظر في آيات الله

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: النظر والتفكر في اختلاف الليل والنهار.

المطلب الثاني: التفكر في إحياء الله الموتى.

المطلب الثالث: التفكر في هلاك الأمم السابقة.

المطلب الرابع: التفكر في الأنفس.

المطلب الخامس: التفكر في القرآن (إنزالاً – تدبراً – حفظاً).

المطلب السادس: التفكر في المودة والرحمة بين الزوجين.

المطلب السابع: التفكر في آيات الكون في السماء والأرض.

المبحث الثاني

الحث على التفكير العلمي بالنظر في آيات الله

العقل السليم هو الذي يستضيء بنور الوحي، فإن الوحي السماوي قد حوى الأدلة العقلية الباهرة، وألزم العقل بالنظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض في حدود قدرته وطاقته.

هذا التفكير يؤكد الإيمان ويقويه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:190-191].

أولاً: معنى التفكر

الفِكرةٌ قُوة مُطْرِقَة لِلْعِلم إلى المعلوم، والتّفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ولهذا روي: **(تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ﷻ)**[(1)]؛ إذ كان الله منزهاً أن يوصف بصورةٍ[(2)].

ثانياً: فضل التفكر وحدوده.

الفكر هو المبدأ أو المفتاح للخيرات كلها، وهذا يكشف لنا عن فضل التفكر وشرفه، فالفكر ينقلك من موت الفطنة إلى حياة اليقظة، ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة، ومن ضيق الجهل إلى سعة العلم ورحبه، فأصل كل طاعة إنما هو الفكر، وأصل كل معصية إنما يحدث من جانب الفكرة، فإن الشيطان يصادق قلب خالياً فيبذر فيه حب الأفكار الرديئة ثم الإرادة ثم العمل، ولكن إن صادف قلباً مشغولاً بالأفكار النافعة فيما خلق له وفيما أمر به لم يجد له موضعاً[(3)].

---

(1) الحديث رواه الطبراني في المعجم الأوسط (383/4) ح (6319) قال الشيخ الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني (395/4).

(2) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص(643).

(3) انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر(ابن قيم الجوزية)، ص (218).

التفكر عبادة عظيمة أمر الله بها وخصصه بالخلق، ونهى عن التفكر في الخالق لعـدم الوصول إلى كنه ذاته وصفاته – جل شأنه وعز سلطانه، وقد ورد هذا النهي في أحاديث عن النبي ﷺ أنه قال: **(تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ﷻ)**[1].

فالتفكير في ذاته تبديد لطاقة العقل فيما لا يمكنه إدراكه، فحسبه أن يفكر في السموات والأرض وفي نفسه و في كل مخلوقات الله ﷻ فالكون كله، بما فيه ومن فيه: مسرح للفكر، يصول ويجول فيه.

ثالثاً: أقسام الفكر.

الفكر ثلاثة أقسام[2]:

1- سطحي: وهو النظر إلى الشيء والحكم عليه بدون فهم.

2- عميق: وهو النظر إلى الشيء وفهمه، ثم الحكم عليه.

3- مستنير: النظر إلى الشيء وفهمه وما يتعلق به ثم الحكم عليه.

وينبغي للمسلم أن لا تكون نظرته سطحية عادية لظواهر الأشياء، بل المطلوب منه أن ينظر للأشياء نظرة عميقة؛ لأنها نظرة عبادة، قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ**﴾ [الملك:3].

ولكي يبلغ المؤمن هذه النظرة يحتاج لعدة أمور:

1- المداومة على تدبر القرآن.

2- المداومة على ذكر الموت والاعتبار ومنازل الآخرة.

3- طلب العلم وإعمال النظر فيه وتعليمه للناس.

رابعاً: التفكر مثنى وفرادى.

من أروع الآيات التي حثت على التفكر قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ [سبأ:46].

---

(1) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(2) انظر: الإسلام وثقافة الإنسان، لسميح عاطف الزين، ص(20).

الله ﷻ في هذه الآية وعظ قوم محمد ﷺ أن يقوموا لله (مثنى وفرادى) ثـم يتفكـروا ومعنى هذا أن يفكر كل واحد منهم مع نفسه، ويكون بمعزل عـن تـأثير الآخـرين، أو أن يفكروا مثنى أي مع صاحب له يتحاوران في هدوء، وبدأ في هذه الآية بقوله: ﴿مَثْنَى﴾ دلالة على أن الحوار والأخذ والرد الثنائي قد يكون أجدى؛ لأن المرء يسمع من صديقه، وقد يقتنـع كل منهم الآخر ويسلم أحدهما للآخر إذا أقنعه ولكنه قد يـرفض الهزيمـة إذا كانـت أمـام الجمهور.

فهذا التفكير الهادئ المستقل المخلص في طلب الحقيقة جدير أن يهدي صاحبه إليهـا وفق سنة الله لأن من طلب شيئاً بجد وإخلاص من طريقه الصحيح لا بد أن يجده[1].

قال البقاعي: "(مثنى) أي اثنين اثنين، وقدمه إشارة إلى أن أغلب الناس ناقص العقـل و (فرادى) أي واحداً واحداً، من وثق بنفسه في رصانة عقله وأصالة رأيه قام وحده، ليكـون أصفى لسره، وأعون على خلوص فكره، ومن خاف عليها ضم إليه آخر، ليذكره إن نـسي، ويقوّمه إن زاغ.[2]

خامساً: ثمرات التفكر.

1- استثمار معرفة ثالثة من معرفتين سابقتين.

يقول الإمام الغزالي[3]: "اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليـستثمر منها معرفة ثالثة ومثاله: أن من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعـرف أن الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقان، أحدهما: أن يسمع مـن غيـره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا، فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأخرة، فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتماداً على مجرد قوله، وهذا ما يـسمى تقليـداً ولا يـسمى معرفة.

والطريق الثاني: أن يعرف أن الأبقى أولى بالإيثار، ثم يعرف أن الآخرة أبقى.

---

(1) انظر: العقل والعلم في القرآن الكريم، ليوسف القرضاوي، ص(40).

(2) نظم الدررفي تناسب الآيات والسور،لأبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، (193/6).

(3) هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف والذكاء المفرط، لازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه وعلم الكلام والجدل، ومن تصانيفه كتاب الإحياء، توفي سنة 505هـ، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان (216/4)، الأعلام (22/7).

فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة، وهي أن الآخرة أولى بالإيثار، ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين"[1].

2- العلوم والأحوال والأعمال، ولكن ثمرته الخاصة العلم[2].

3- التفكر يوقع صاحبه من الإيمان على ما لا يوقعه عليه العمل المجرد، فإن التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له، وتميز مراتبها في الخير والشر، ومعرفة الأسباب الموصلة لها، وما يقاوم هذه الأسباب.

4- الاتصال الدائم بالله ﷻ؛ لأن التفكر عبادة لله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، يورث الخشية والخشوع، وهذه الثمرة هي أعظم ثمرات التفكر[3].

المطلب الأول: النظر والتفكر في اختلاف الليل والنهار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:164].

جاءت هذه الآية الكريمة مشتملة على ست آيات كونية، كل آية دليل قاطع وبرهان ساطع على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته، وكلها موجبة لعبادته وحده دون سواه، وهذه الآيات هي[4]:

الأولى: خلق السموات والأرض، وهو خلق عظيم لا يتأتى إلا للقادر الذي لا يعجزه شيء.

الثانية: اختلاف الليل والنهار بتعاقبهما وطول هذا وقصر ذلك.

الثالثة: جريان الفلك في البحر على ضخامتها وكبرها، وهي تحمل مئات الأطنان بما ينتفع به الناس.

---

(1) إحياء علوم الدين، (1819/2).

(2) انظر: المرجع السابق (1819/2).

(3) انظر: مفتاح دار السعادة، ص (215).

(4) انظر: تفسير ابن كثير، (200/1)، أيسر التفاسير، للجزائري، (112/1) ، صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم، لمحمد علي الصابوني، (98/1).

الرابعة: إنزاله سبحانه الماء من السماء لحياة النبات بعد موته.

الخامسة: تصريف الرياح بأنواعها حارة وباردة ملقحة وغير ملقحة وغيرها.

السادسة: السحاب المسخر بين السماء والأرض وسوقه لينزل في بلد دون بلد بإرادة العزيز الحكيم.

هذه الآيات الست الكونية أكبر برهان وأقوى دليل على وجود الله ﷻ وعلمه وقدرته ورحمته بعباده، ولذلك هو رب العالمين وإله الأولين والآخرين ولا رب غيره ولا إله سواه.

والآيات تدل دلالة واضحة على وحدانية الله؛ لأن الأمر لو كان بتدبير اثنين مختلفين في التدبير لفسد الأمر باختلافهما، قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الأنبياء:22].

اختلاف الليل والنهار هو أحد هذه الآيات الست وهي آية عظيمة لا تخفى على أحد من العقلاء، اختلاف حالتي الأرض في ضياء وظلمة، وما في الضياء من الفوائد للناس وما في الظلمة من الفوائد لهم.

أولاً: المقصود باختلاف الليل والنهار.

المقصود باختلاف الليل والنهار ما يلي(1):

1- الاختلاف افتعال من الخلف، وهو أن يجيء شيء عوضاً عن شيء آخر يخلفه في مكانه، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**﴾ [الفرقان:62] أي إذا ذهب الليل جاء بعده النهار وإذا ذهب النهار جاء خلفه الليل.

2- أو اختلاف كل منهما وتفاوتهما في الطول والقصر، فمرة يعتدلان ومرة يزيد أحدهما على الآخر، وذلك بحسب أزمنة الفصول.

3- أو اختلاف كل منهما في النور والظلمة.

وكل هذه المعاني تصلح لأن يفسر بها اختلاف الليل والنهار.

---

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آى القرآن،لأبي جعفر محمد بن جريرالطبري، (814/2) ، روح المعاني، للألوسي، مج1 (32/2،31).

ثانياً: السبب في اختلاف الليل والنهار

السبب في اختلاف الليل والنهار على الأرض أنه من آثار دوران الأرض حول الشمس في كل يوم فينتج عنهما الليل والنهار.

وخلافها في الطول والقصر، وذلك بسبب أزمنة الفصول وبحسب أمكنة الأرض في أطوال البلاد وأعراضها(1).

ثالثاً: الإعجاز العلمي في اختلاف النهار عن الليل.

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يستوقفه عدد من الحقائق:

أولها: ذكر الليل، فإنه يأتي قبل النهار في القرآن.

كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...**﴾ [البقرة:274] وغيرها كثير.

ثانيها: أينما ذكر الليل والنهار والشمس والقمر في سياق واحد فلا بد أن يسبق الليل ذكر النهار، وأن تسبق الشمس ذكر القمر، ويتجلى ذلك في اثني عشر موضعاً في الكتاب الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿...**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ**...﴾ [الأعراف:54].

ويذكر بعض الباحثين أن هذه الحقائق القرآنية تتفق مع الحقائق العلمية المقررة من أن الكون ما هو إلا (ليل) دائم، فالأصل هو الظلمة، والشمس –وإن كانت نجماً مستعراً– لكن لا يرى منها الضوء المنبعث إلا عند انعكاسه من الأجرام السماوية المعتمة لينيرها(2).

إن معرفة المرء لمثل هذه الحقائق تدعوه للتدبر والتفكر فيها، وفي حكمه اختلاف الليل والنهار، فدعوة القرآن للمرء أن يتفكر في هذا ويعمل عقله؛ لأن هذه الحقائق لن تقف عند حد معين فقد يقف على دلائل وحقائق جديدة في اختلاف الليل عن النهار لم يسبقه إليها غيره.

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج 2(68/2).

(2) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية الشريفة، لعبدالرحيم مارديني، ص(46).

رابعاً: العبر والآيات في اختلاف الليل والنهار.

من أعظم نعم الله ﷻ اختلاف الليل والنهار؛ لأن كل واحد منهما يخلف الآخر فتحصل منه فوائد تعاكس فوائد الآخر بحيث لو دام أحدهما لانقلب النفع ضرراً، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص:71-72].

ومن أعظم فوائد الليل والنهار ما ذكره القرآن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان:47] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا...﴾ [غافر:61].

قال ابن القيم(1): "هذه الآيات فيها من العبر والدلالات على ربوبية الله وحكمته، حيث جعل الليل ساكناً يغشى العالم فتسكن الحركة، وتأوي الحيوانات والطيور إلى بيوتها، وتستجم فيه النفوس وتستريح من السعي والتعب، حتى إذا أخذت النفوس راحتها وسباتها وتطلعت إلى معاشها جاء فالق الإصباح ﷻ بالنهار فانتشر الحيوان والطير لتطلب معاشها"(2).

وتخلص الباحثة إلى أن الليل والنهار آية من آيات الله العظيمة التي كثر ذكرها في القرآن الكريم، وختمت الكثير من آياتها بقوله ﴿لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾ أو ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ أو ﴿لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ أو ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. وفي هذا تذكير من الله ﷻ لعباده المؤمنين أصحاب العقول أن يديموا التفكر في اختلاف الليل والنهار، فهما من أعجب آياته وأعظم بدائع صنعه، ولكن دوام مشاهدة النفوس لها صارت عادة ومألفاً لها، منعها من الاعتبار بهذه الآية والاستدلال بها على النشأة الثانية وإحياء الله الخلق بعد موتهم.

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن مريز الزرعي الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، الإمام المحقق الأصولي الفقيه، النحوي، صاحب الذهن الوقاد والعلم السيال، ولد في بيت علم وفضل ، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية، وله تصانيف كثيرة، توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. انظر: البداية والنهاية، لعماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. (293/14).

(2) مفتاح دار السعادة، ص(239).

المطلب الثاني: التفكر في إحياء الله الموتى.

أولاً: معنى الموت والترغيب في الإكثار من ذكره.

الموت: ضد الحياة. وهو ذهاب الروح بالآجال، وهو الموت الذي لا يعود صاحبه إلى الدنيا(1).

قال القرطبي: "قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سماه الله – تعالى – مصيبة، في قوله ﴿...فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ...﴾ [المائدة:106] فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى"(2).

إن أعظم من مصيبة الموت الغفلة عنه وقلة التفكر فيه، وقلة العمل له، والموت فيه من العبر الكثير لمن اعتبر وفكر فيه.

وعن أُبي بن كعب ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل، قام فقال: **(يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه)، قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك...)**(3).

إن المنهمك في الدنيا المكب عليها والمحب لشهواتها هو الذي يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت، وإذا ذكر به كرهه ونفر منه، وهو من الذين قال الله فيهم ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة:8].

ثانياً: إحياء الموتى.

الموت كأس والكل ذائقه فجميع المخلوقات مصيرها إلى الفناء، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:26-27].

---

(1) انظر: الوجوه والنظائر، ص (241)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (221/1).

(2) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، ص(8).

(3) الحديث رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ص (553)، ح (2457)، قال الشيخ الألباني: حسن.

وتموت المخلوقات، ومن مات منها فإن الأصل فيه ألا يعود إلى الحياة الدنيا مرة أخرى، حيث قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:99-100]

قال ابن كثير في معنى البرزخ: قال مجاهد: "البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة"، وقال محمد بن كعب[1]: "البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ﴾ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، وقوله تعالى: ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي يستمر به العذاب إلى يوم القيامة"[2].

وروي عن جابر بن عبدالله ﷺ أنه قال: **لقيني رسول الله ﷺ فقال: (يا جابر مالي أراك منكسراً مهتماً)؟ قلت: يا رسول الله، استشهد أبي وقُتل يوم أحد، وترك عيالاً وديناً فقال: (ألا أبشرك بما لقى الله ﷻ به أباك)؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: (ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً**[3] ، **فقال: يا عبدي تَمَنَّ عليّ أعطِك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الرب ﷻ: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يُرجَعون، وأنزلت هذه الآية** ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:169][4].

هذه سنة الله في خلقه من ذاق الموت وفارق الحياة فلن يعود إليها مرة أخرى لا عودة لروحه إلى جسده إلا يوم القيامة يبعثه الله ويرد عليه روحه ليحاسبه ويجازيه بما عمل، ولكننا نجد القرآن الكريم قد تحدث عن بعض الموتى فارقوا الحياة ثم أحياهم الله ﷻ مرة أخرى في هذه الدنيا، ومن ذلك:

---

(1) هو محمد بن كعب بن سليم، الإمام العلامة الصادق أبو حمزة، وقيل أبو عبد الله القرطبي المدني، من حنفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قُريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة، كان من أئمة التفسير، ثقة عالماً كثير الحديث، توفي سنة عشرين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء، (66/5).

(2) تفسير ابن كثير، (263/3).

(3) كفاحاً: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول، لسان العرب، (573/2).

(4) الحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، ص(673)، ح(3010) ، قال الألباني: حسن.

1- الأنبياء وإحياء الموتى:

إحياء الموتى كانت آية من آيات الأنبياء المعجزة والتي أيدهم الله بها، فكانت دليلاً مشاهداً أمام أعينهم على قدرة الإحياء والإعادة لله ﷻ في الدنيا والآخرة، ومن هؤلاء الأنبياء:

أ- إبراهيم عليه السلام:

إبراهيم الخليل عليه السلام سأل الله ﷻ أن يريه كيف يحيي الموتى فأمره الله ﷻ أن يأخذ أربعة من الطير فيقطعهن أجزاء، فيفرقها على الجبال التي حوله على كل جبل جزء من هذه الطيور، ثم يناديهم وحينئذ تلتئم هذه الأجزاء المفرقة في الجبال بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم مشياً لا طيراناً وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:260].

فوائد:

اختلف الناس في سؤال إبراهيم عليه السلام هل صدر عن شك أم لا؟.

1- قال الجمهور: لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً في إحياء الله الموتى قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به(1).

2- لا يجوز على الأنبياء -صلوات الله عليهم- مثل هذا الشك فإنه كفر، والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث، وقد أخبر الله – تعالى – أن أنبياءه وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾ [الحجر:42] (2).

3- ذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام أسباباً منها: أنه قال للنمرود ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة:258] فأحب إبراهيم عليه السلام أن ينتقل من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين ويرى ذلك مشاهدة فقال: ﴿...رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي...﴾ [البقرة:260]. (3)

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (259/3).

(2) انظر: المرجع السابق، (260/3).

(3) انظر: تفسير ابن كثير، (309/1).

ب- موسى عليه السلام:

أمر موسى عليه السلام قومه بوحي من الله تعالى أن يذبحوا بقرة ويضربوا بجزء منها القتيل ففعلوا بعد التعنت والمراجعات، فقام فقال قتلني فلان، أخبر عن قاتله ﴿...كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمُوْتَى...﴾ [البقرة:73] الله تعالى ينبه على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهده من أمر القتيل، وجعل الله ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد وفاصلاً لما كان بينهم من الخصومة والعناد. فكما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر الله له، كذلك أمره في سائر الموتى إذا شاء إحياءهم أحياهم في ساعة واحدة، قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:28]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمُوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:72-73][1].

ج- عيسى عليه السلام:

إحياء عيسى عليه السلام معجزة خاصة تفوق بني إسرائيل في شفاء المرضى وعلاج الأمراض المستعصية، جاء عيسى عليه السلام في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاء بآيات، بما لا سبيل لأحد إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ومداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد، وهي على أي حال لم تكن لتتم بدون إذن الله؛ حيث جاء على لسان عيسى نفسه ﴿... وَأُحْيِي الْمُوْتَى بِإِذْنِ اللهِ...﴾ [آل عمران:49][2].

2- الأمم السابقة وإحياء الموتى:

أحيا الله تعالى أفراداً وأقواماً في الأمم السابقة، وكانت آية من آياته تعالى جاء ذكرها في القرآن الكريم، ومن ذلك:

---

(1) انظر: البداية والنهاية، (431/1).

(2) انظر: تفسير ابن كثير، (357/1).

أ- الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:243].

الآيات تتحدث عن قوم من بني إسرائيل أصابهم وباء شديد، فخرجوا فراراً من الموت هاربين من أراضيهم إلى البرية، فأماتهم الله ﷻ ثم أحياهم بعد ذلك فأراهم الله ﷻ أنه لا مفر من قدره؛ حيث أماتهم ليعلم العباد قوة سلطانه ونفوذ قدرته، ثم أحياهم ليستكملوا آجالهم[1].

ويؤيد هذه الواقعة ما رواه الإمام البخاري عن عبدالله بن عامر أن عمر خرج إلى الشأم فلما كان بسرغ[2] بلغه أن الوباء قد وقع بالشأم، فأخبره عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)**[3].

ب- الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها:

قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ...﴾ [البقرة:259].

الآيات تتحدث عن رجل مر على قرية خاوية ليس فيها أحد، ساقطة سقوفها وجدرانها، فوقف متفكراً فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة، واستبعد أن تعود إلى ما كانت عليه من العمران والمساكن فأراه الله ﷻ آية من آيات قدرته، فأماته الله مئة عام ثم أحياه، ولما سأله قال لبث يوماً أو بعض يوم، فأخبره الله أنه لبث مئة عام وأراه آيات قدرته، فرغم هذه السنين لكن طعامه وشرابه لم يتغير ثم أمره بأن ينظر إلى حماره كيف يحييه الله؛ يركب العظام بعضها بعضا ويكسوها لحماً، وفي هذا دليل على المعاد، فلما تبين لهذا الرجل ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، (293/1).

(2) سَرْغ: بالغين والعين فيه: وهو أول الحجاز وآخر الشام، بين المُغيثة وتبوك من منازل الشام. انظر: معجم البلدان، لأبي عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (239/3).

(3) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (15/4).

(4) انظر: البداية والنهاية، (67/2)، تفسير ابن كثير، (308/1).

ثالثاً: علاقة إحياء الموتى بالبناء العقلي:

إن إحياء الموتى في الدنيا هو إقامة للدليل العملي الحسي المنظور في هذه الدنيا، وهذا يجعل العقل يفكر ويتأمل في هذا الدليل العملي أمام عينيه، فيسلم ويتيقن بقدرة الله ﷻ ويزداد إيماناً ويقول كما قال الذي مر على قرية ﴿... قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:259] فصاحب العقل السليم لا يستطيع إنكار هذه الحقيقة، وما دام أنه سلم بهذا فقد آمن بالمعاد وبعقيدة البعث يوم القيامة، وإلا لو لم يؤمن لكان ممن لا عقل له أو جاحداً معانداً منكراً لألوهية وقدرة الله على الإحياء والإماتة.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا...﴾ [الكهف:21].

المطلب الثالث: التفكر في هلاك الأمم السابقة.

دعا الله ﷻ في آياته إلى التفكر والتأمل في مصائر الغابرين، وهم ناس من الناس، وخلق من خلق الله، تكشف مصائرهم الماضية عن مصائر خلائفهم الآتية. فسنة الله هي في الجميع، وسنة الله حق ثابت يقوم عليه هذا الوجود، بلا محاباة لجيل من الناس، ولا هوى يتقلب فتتقلب معه العواقب. حاشا لله رب العالمين.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون﴾ [الروم:9-10]

ومن سنن الله ﷻ أن الله لا يبدل حال العباد من النقمة إلى النعمة، ومن الرخاء إلى الشقاء والعذاب، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى الفسق قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:53].

فإذا تمرد العباد على شرع الله ﷻ وفسقوا، أتاهم العذاب والنكال من الكبير المتعال، فكان هناك أسباب لهلاك هذه الأمم، ودعا القرآن إلى التفكر والتأمل في هلاك هذه الأمم في كثير من الآيات وإعمال العقل حتى لا تقع هذه الأمم فيما وقعت الأمم السابقة، فمن هنا علم مدى علاقة التفكر في هلاك الأمم في البناء العقلي.

والتفكر في هلاك الأمم السابقة سيكون بالنظر في أسباب هلاكها ونماذج من القرآن لأخذ العظة والعبرة من هذه الأمم.

أولاً: أسباب هلاك الأمم.

أسباب هلاك الأمم التي تكون سبباً أن يتنزل عذاب الله على هذه الأمم الكافرة،كثيرة ومنها:

1- الكفر بالملك الوهاب، وتكذيب الرسل الكرام، فقد أهلك الله ﷻ الأمم السابقة قوم نوح وعاد وثمود ولوط وأصحاب مدين وقروناً بين ذلك كثيراً بسبب كفرهم بالله ﷻ، وتكذيبهم لرسله، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۞ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۞ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق:12-14].

2- كثرة الفساد وكثرة الخبث في الأمة: الأمة إن كثر فيها الفساد والخبث أمر الله ﷻ مترفيها أمراً قدرياً ففسقوا فيها فحق عليهم عذاب الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:16].

يقول ابن كثير – رحمه الله – "اختلف المفسرون في معناه فقيل: معناه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمراً قدرياً كقوله تعالى ﴿...أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا...﴾ [يونس:24] فإن الله لا يأمر بالفحشاء. قالوا: معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب، وقيل: معناه أمرهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة"[1].

3- الكفر بنعم الله ﷻ وعدم القيام بواجب شكرها: قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112].

(1) تفسير ابن كثير، (63/3).

هذه القرية هي مكة المشرفة كانت آمنة مطمئنة الأمن التام ما لم يحصل في سواها، وكذلك الرزق الواسع، حيث كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، لكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كان مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه يدعوهم إلى أكمل الأمور وينهاهم عن الأمور السيئة فكذبوه، وكفروا بنعمة الله عليهم فأذاقهم الله، ضد ما كانوا فيه وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف وهو ضد الأمن، وذلك بسبب ضعفهم وكفرهم وعدم شكرهم[1].

هذه أكرم البلاد عند الله وأحبها لرسوله قد حل بها هذا، فليس هنا من بلد أو فرد يكفر بنعم الله ﷻ ولا يشكرها إلا كان أهون على الله من بلده فسيصيبه الله بالعذاب والخوف والجوع وما الله بظلام للعبيد.

4- كثرة التعامل بالربا وانتشار الزنا، والعياذ بالله، فإن هذا مما يخرب البلاد ويهلك العباد، ويوجب سخط الله ﷻ ،عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**...ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله ﷻ**)[2].

وانتشار الزنا سبب لظهور الطاعون والأوجاع التي لم تكن في السابقين، كما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (**يا معشر المهاجرين خمس إن ابتليتم بهن ونزل فيكم وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم ...**)[3].

5- تقصير الدعاة في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو أحد أسباب العذاب، عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ...﴾ [المائدة:105]. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**)[4].

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان،لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ص (429).

(2) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، ص (303) ح (3089).

(3) الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن والملاحم، (583/4)، ح (8623)، قال الذهبي: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(4) الحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة المائدة، ص(684) ح (3057) ، قال الألباني: صحيح.

ثانياً: نماذج لأمم انحرفت فأهلكها الله.

1- من القرآن الكريم:

لقد تحدث القرآن الكريم عن الكثير من الأمم السابقة التي انحرفت عن منهج الله ﷻ فاستحقت أن ينزل عليها العذاب، وقد كانت سورة العنكبوت إحدى السور التي تحدثت عن هلاك الكثير من الأمم كيف كفرت فاستحقت عذاب الله ﷻ ومن هذه الأمم التي ذكرتها السورة.

أ- قبيلة عاد وثمود:

قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت:38].

يخبر ﷻ عن هذه الأمم المكذبة للرسل كيف أهلكهم الله وأذاقهم أنواع العذاب، وأخذه بالانتقام منهم، فقوم عاد قالوا: من أشد منا قوة، فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد عاتية الهبوب تلقي عليهم حصباء الأرض وتقتلعهم، ترفع الرجل ثم تنكسه على أم رأسه فيبقى بدناً بلا رأس كأنهم أعجاز نخل خاوية، وأما قوم ثمود فأخذتهم الصيحة عندما كذبوا نبي الله واستمروا على كفرهم وطغيانهم فجاءتهم الصيحة، أخمدت منهم الأصوات والحركات[1].

ب- قارون وفرعون وهامان:

قال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۞ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:39-40].

يخبر سبحانه أن قارون بغى وطغى وعصى الله ﷻ ومشى في الأرض مرحاً، واعتقد أنه أفضل من غيره واختال في مشيته، فكان عاقبته وجزاءه أن خسف الله به وبداره الأرض، وفرعون وهامان وجنودهما أغرقهم الله ﷻ في صيحة واحدة[2].

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، (420/2).

(2) انظر: المرجع السابق، (420/2).

ج- قوم نوح وقوم لوط:

وكذلك من الأمم التي أهلكها الله ﷻ قوم نوح ولوط أرسل لهم الرسل فكذبوهم واستمروا على كفرهم فحل بهم العذاب من الله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۞ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت:14-15]. ولقد خص الله ﷻ قوم لوط عن غيرها من الأمم بأن آثار هلاكها باقية ودائمة إلى يوم القيامة، ولعل تخصيصهم بذلك يرجع لسوء وشناعة الفاحشة التي كانوا يرتكبونها، وأخبر عن هلاكهم أنه (آية بينة) بينما عندما أخبر عن هلاك قوم نوح قال (آية) ولم توصف بأنها (بينة)، وذلك لأن السفينة في قصة نوح بليت ألواحها وحديدها[1].

وقد أخبر الله عن قوم نوح بأنها (آية للعالمين)، بينما قوم لوط قال فيهم آية بينة (لقوم يعقلون) ويرجع هذا إلى أن السفينة موجودة في أقطار العالم، فعند كل قوم مثال للسفينة يتذكرون بها ما حل بقوم نوح عليه السلام بينما قوم لوط هلاكهم في موضع مخصوص لا يطلع عليه إلا من يمر بديارهم ويكون له عقل يفكر ويعتبر ويعلم أن هذا إنما بفعل الله دون غيره[2].

2- مثال واقعي لهلاك الأمم:

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف:97-98].

كثير من الأمم في واقعنا الحاضر قد انحرفت عن شرع الله ﷻ وكفرت وجهرت بذلك، وارتكبت الكثير من المعاصي والذنوب وجهرت بها، فلم تكن أحسن حالاً من الأمم السابقة، فلما ارتكبت من الأسباب التي توجب عذاب الله وهلاكها أوقع الله ﷻ بها العذاب الشديد لتكون عظة وعبرة في هذه الدنيا لغيرها من الأمم شاخصة أمام أعينهم فيرجعوا ويتوبوا إلى الله، ومن هذه الأمم جنوب شرق آسيا.

هذه المناطق جزء كبير منها منتجعات سياحية يأوى إليها السياح من كل مكان فيتعرون ويرقصون ويغنون ويسكرون ويعربدون... في أحد الأعوام حصل في هذه

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج10 (246/20).

(2) انظر: التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي، (63/25) .

المنتجعات تفجير قتل فيه العديد من السياح، فكان هذا بمثابة إنذار مبكر لما سيحدث في العام الذي يليه لأولئك الظالمي أنفسهم، وفي هذا التفجير اتهموا عباد الله الصالحين وهم براء وسجنوهم وآذوهم، ثم عادت المنتجعات إلى ما كانت عليه من الفجور والعربدة، ثم كان العام الآخر فلعل الله ﷻ غار في سمائه فقال للأرض تزلزلي..

فكان زلزال تسونامي ، حيث ضرب هذا الزلزال الذي حدث في المحيط الهندي بقوة 8.9 على مقياس ريختر أكثر من إحدى عشرة دولة في جنوب شرق آسيا والشواطئ الشرقية لقارة أفريقيا ونتج عنه موجات عالية من المد المائي ضربت الأخضر واليابس، وكانت حصيلة الضحايا لهذا المد المائي أكثر من مائة وستين ألف قتيل. وكلمة تسونامي أصلها ياباني وهي مكونة من مقطعين "تسو" وتعني ميناء و"نامي" وتعني موجة، والترجمة الحرفية لكلمة تسونامي تعني موجة الميناء. إن هذا المد البحري الهائل -كما قلنا- قد أخذ الأخضر واليابس والحجر والبشر، ولكن يبدو أن الحيوانات قد تمكنت بطريقة ما من الإفلات من براثنه، فنادراً ما عثر على جيفة حيوان بين أنقاض المدن المدمرة عند هيجان المحيط.

وعندما تقع هذه الظاهرة فإن المناطق الساحلية تتعرض، دون إنذار مسبق في بعض الأحيان، لموجة بالغة القوة وقد يصل طول الموجة إلى 100كم. وموجات المد تتحرك باتجاه الشاطئ تحت الماء وأثرها على سطح الماء، قد لا يلاحظ إلا عندما تقترب المياه من الشاطئ واستمر هذا الزلزال دقيقة و42 ثانية[1].

الخلاصة:

يقول الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا...﴾ [الحج:46].

الله ﷻ أمر بالسير في الأرض، ولكن ما الغرض من هذا السير؟ أن تجوبها من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، وأن تطلع على آثار الأمم فيها، إن الغرض من هذا السير أن يكون لك قلب يعقل ويبصر، وأذن تسمع وتعي، فإن المشاهد لآثار هلاك الأمم سواء كانت الماضية منها أم الحاضرة ليخرج بعبر وعظات منها ويعلم حقاً أن الله لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون استخلفهم الله في الأرض لعبادته فعصوه وكفروا

(1) انظر: تسونامي القاتل، إعداد عبدالمجيد حمدي، مقال في مجلة العلم، العدد 341 – فبراير 2005، ص(31، 42)، الإنسان والبيئة، إعداد أحمد الشربيني، مقال في مجلة العربي، العدد 556 محرم 1426هـ – مارس 2005م، ص(158)، تسونامي لم يقتل حيواناً، د. عبدالناصر توفيق، مقال في مجلة العربي العلمي، العدد الأول ربيع الآخر 1426هـ – يونيو 2005م، ص(24).

وجاهروا بمعاصيهم، فكان حقاً على الله أن يغضب فيعاقبهم بإرسال الآيات لهم، قال تعالى: ﴿...وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا...﴾ [الإسراء:59].

وإن المتأمل حقاً في هذا العذاب الذي حل في جنوب شرق آسيا ليلحظ الكثير:

1- إن هذه المناطق ليست مناطق يعبد الله ﷻ فيها، بل هي منتجعات يتعرون ويرقصون ويغنون فيها...

2- طبيعة هذا الزلزال أو الظاهرة التي حدثت تعرضت لها المناطق الساحلية دون إنذار مسبق في بعض الأحيان فالموجات تتحرك باتجاه الشاطئ تحت الماء، وأثرها يظهر على سطح الماء، ولا يلاحظ إلا عندما تقترب المياه من الشاطئ.

3- هذا الزلزال استمر دقيقة و42 ثانية فأحدث دماراً كبيراً في كل شيء وبلغ القتلى مئة وستين ألفاً، فكيف لو استمر أكثر من هذا الوقت؟.

4- الله ﷻ أراد أن يعاقب عباده العاصين المجاهرين بأنهم لا يخافون عقابه، بينما الحيوانات لم يكن لها ذنب فزودها بما يجعلها تحس باقتراب هذا الزلزال فتهرب، حيث لم يسجل جيف حيوانات.

5- عظم وقوة هذا الزلزال الذي بلغ قوته 8.9 على مقياس ريختر والله على كل شيء قدير.

فالواجب علينا عند السير في الأرض وحدوث الزلزال وغيرها من الآيات والكسوف والرياح الشديدة والفيضانات أن نبادر بالتوبة والضراعة إليه والاستغفار وسؤاله العافية، والإكثار من ذكره، وأن لا يحاسبنا ويعاقبنا بما فعل السفهاء.

المطلب الرابع: التفكر في الأنفس.

التفكير ليس مقصوداً لذاته، بل المقصود أن نبين من خلاله سر العظمة والإعجاز، عظمة الواحد الأحد ﷻ .الغرض من هذا التفكير أن نصل إلى الغاية وهي معرفة عظمة هذا الخالق ﷻ.

وسأتحدث في هذا المطلب عن أمر قريب جداً منا، عن أمر نعرفه جميعاً، عن أنفسنا، عن خلقنا، عن الإنسان استجابة لأمر الله ﷻ ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُون﴾ [الذاريات:21].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم:8].

أولاً: دعوة القرآن للتفكر في الأنفس.

الله ﷻ في هذه الآية الكريمة يأمرنا بالتفكر في أنفسنا التي هي أقرب المخلوقات إلينا وهو أعلم بشؤونها وأخبر بأحوالها، فسنتدبر ما أودع الله فيها ظاهراً وباطناً من غرائب الحكم الدالة على التدبير، وأن الذي أوجدهم من العدم سيعيدهم بعد ذلك، وأن الذي نقلهم أطواراً من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى آدمي، قد ثقينفخ فيهم الروح، إلى طفل، إلى شاب، إلى شيخ، إلى هرم، لا يتركهم سدى مهملين لا ينهون ولا يؤمرون ولا يثابون ولا يعاقبون، فالله ﷻ لم يخلق شيئاً إلا بالحق ولأجل مؤقت تنقضي به الدنيا وتقوم القيامة، ولكن كثيراً من الناس ينكرون رجوعهم وبعثهم إلى الله ﷻ.

وإشارة آيات القرآن الكريم إلى النشأة الأولى من التراب تتردد كثيراً، وكذلك الإشارة إلى أول مراحل الحمل: النطفة...والتراب عنصر لا حياة فيه.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر:67].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:12-14].

ثانياً: التأمل في مراحل خلق الإنسان.

نتأمل الآيات الكريمة فنجدها تتحدث عن خلقنا نحن، عن تكويننا وعن نشأتنا وعن سر الإعجاز في وجودنا، ذلك أن أصل نشأة الجنس الإنساني من سلالة من طين، فأما نشأة الفرد الإنساني -بعد ذلك- فتمضي في طريق آخر معروف: نشأة الجنس الإنساني من سلالة من طين خُلق أبونا آدم من طين (تراب) ثم من نطفة... تكرار أفراد الجنس الإنساني بعد ذلك وتكاثرهم، فقد جرت سنة الله أن يكون عن طريق نقطة مائية تخرج من صلب رجل، فتستقر في رحم امرأة نقطة مائية واحدة، لا بل هي خلية واحدة الخلية هي الحجر الأساس في بناء الإنسان، ومنها يبدأ سر الحياة ،هذه الخلية لا ترى بالعين المجردة، بل بالمجاهر الضخمة، فهي على صغرها عبارة عن بحر متلاطم مليء بالحيوانات المختلفة، وخلية واحدة من عشرات الألوف من الخلايا الكامنة في تلك النقطة تستقر في قرار مكين ثابتة في الرحم

ملتصقة بين عظام الرحم يحميها من اهتزازات الجسم ومن كثير من الضربات التي تصيب الظهر والبطن.

التعبير القرآني يجعل النطفة طوراً من أطوار النشأة الإنسانية، هذه حقيقة تدعو إلى التأمل والتدبر، هذا الإنسان الضخم بكل صفاته وسماته وخصائصه في تلك النطفة ثم العلقة حينما تمتزج خلية الذكر ببويضة الأنثى، وتعلق بجدار الرحم نقطة صغيرة في أول الأمر، تتغذى بدم الأم، ثم المضغة حينما تكبر العلقة العالقة بجدار الرحم وتتحول إلى قطعة من دم غليظ مختلط، ثم مرحلة العظام، ثم مرحلة كسوة العظام باللحم فيكتمل نمو الجنين ثم يخرجكم طفلاً ومن هنا تبدأ مراحل الإنسان وهي ثلاث مراحل:

أولها: كونه طفلاً، وثانيها أن يبلغ أشده في العقل والجسم، وثالثها الشيخوخة، وقد يتوفى الإنسان قبل أن يبلغ الشيخوخة أو إحدى هذه المراحل؛ لأن له أجلاً محدوداً لا يتجاوزه **(لعلكم تعقلون)** تأملوا وتدبروا في هذا كله[1].

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(إن الله ﷻ وكّل بالرحم ملكاً يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقه، قال: أَذَكَرٌ أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه)**[2].

ثالثاً: فوائد ودلالات من آيات التفكر في الأنفس.

1- ابتدأت الآية بقوله ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾. إنكاراً واستقباحاً لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة[3].

2- وذكر قوله ﴿ فِي أَنفُسِهِمْ﴾. لتخصيص التفكر بالأنفس؛ لأن أنفسهم وذواتهم هي أقرب المخلوقات إليهم وهم أعلم بشؤونها وأحوالها من غيرهم فيتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهراً وباطناً من غرائب الحكم الدالة على قدرته وحكمته.

3- دعوة القرآن للتفكر في الأنفس لتفتح مغاليق القلوب لتتدبر هذا الخلق العجيب، فهذا الإنسان بجميع خصائصه وسماته كان كامناً في تلك النقطة الصغيرة الدقيقة التي لا تراها العين المجردة بعد أن أنستهم الألفة هذا الأمر العجيب.

---

(1) في ظلال القرآن،لسيد قطب، (2458/4)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب مُخَلّقة وغير مُخَلقة ، (67/1).

(3) انظر: تفسير أبي السعود، (343/5).

4- خلق الإنسان من طين:

أ- دليل على قدرة الله وعظمته؛ لأنه ﷻ هو الذي حول هذا الطين إلى بشر سوي مفكر، يختار الخير فيهتدي، ويختار الشر فيردى.

ب- تذكيراً له بأصله حتى لا يستكبر أو يطغى، وحتى يوقن بأن من خلقه من هذا الأصل قادر على أن يعيده إليه.

5- بيان أن أطوار خلق الإنسان بتقدير معين وأنه بعلم من العزيز – سبحانه – فكان من الممكن خلقه دفعة واحدة﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس:82]،

ولكن العرض على هذا التفصيل أشد أثراً وتأثيراً في نفس السامع، ويكون أقوى في انتزاع الاعتراف بقدرة الله من العبد، من يحيي المخلوق جملة؛ لأنه سيقف على كل مرحلة من مراحل خلقه وإيجاده، فيتدبر ويفكر بها على حده، فكل طور ومرحلة آية مستقلة تدل على عظمة الخالق.

6- سبق وأن القرآن الكريم كشف عن حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً، بعد تقدم علم الأجنة التشريحي؛ ذلك أن خلايا العظام تختلف عن خلايا اللحم، وأن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً في الجنين ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور العظام وتمام الهيكل العظمي للجنين، وهي الحقيقة التي سجلها النص القرآني قبل أربعة عشر قرناً. قال تعالى: ﴿...**فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا**...﴾ [المؤمنون:14]، فسبحان الخالق العظيم المدبر والمسير لكل شيء(1).

7- دعوة القرآن الباقية إلى يوم القيامة لإعمال العقل، وعدم قصر النص القرآني على كشف علمي بشري يكون قابلاً للخطأ والصواب والتعديل والتبديل كلما تطور العلم واتسعت معرفة الإنسان وكثرت وسائل المعرفة التي يمتلكها.

8- الآيات تدل دلالة واضحة على حقيقة البعث؛ لأن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة.

9- ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ أحسن هنا للحسن المطلق في خلق الله وليست للتفضيل.

وألخص هذا المطلب بكلام جميل لسيد قطب – رحمه الله- يقول: " إن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية، المعتدلة ، الكاملة الشكل والوظيفة، أمر يستحق التدبر الطويل ، والشكر العميق ، والأدب الجم، والحب لربه الكريم ، الذي أكرمه بهذه الخلقة ،

---

(1) انظر: في ظلال القرآن،لسيد قطب، (2459/4).

تفضلاً منه ورعاية ومنة. فقد كان قادرا أن يركّبَه في أية صورة أخرى يشاؤها . فاختار لـه هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة .

وإن الإنسان لمخلوق جميل التكوين، سوي الخلقة، معتدل التصميم، وإن عجائب الإبداع في خلقه لأضخم من إدراكه هو ، وأعجب من كل ما يراه حوله .

وإن الجمال والسواء والاعتدال لتبدو في تكوينه الجسدي، وفي تكوينه العقلي، وفي تكوينه الروحي سواء ، وهي تتناسق في كيانه في جمال واستواء"[1].

المطلب الخامس: التفكر في القرآن. (إنزالاً – تدبراً – حفظاً)

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أنزله على عباده، وكل إنسان يعيش فوق هذه الأرض ملزم بتعلم القرآن وتنفيذ أوامره.

وتكمن أهمية تفكر الإنسان في القرآن عند تدبره لآيات الله، فإنه سيرغب في معرفة خالقه، وخالق هذا الكون الذي يعيش فيه من أعطاه الحياة عندما كانت نعمه لا تقدر ولا تحصى ليسلك السبيل الذي يرضيه ﷻ ، من أجل ذلك يحتاج الإنسان إلى معرفة الكتاب الذي أرسله الله، والتفكر فيه من حيث إنزاله وتدبر آياته وحفظ الله ﷻ له فمن تدبر وتفكر في هذا كله ساهم في بناء عقله البناء الصحيح؛ لأن الله ﷻ قد دلنا على أن من تفكر في القرآن الكريم كان له الأثر والدور الكبير في البناء العقلي، فقد ختم الله ﷻ كثيراً من آيات التفكر في القرآن بقوله: (أفلا تعقلون)، (لعلكم تعقلون)، فمن هنا تظهر أهمية التفكر في القرآن في البناء العقلي، من خلال عدة أمور:

أولاً: إنزال القرآن.

إن من عظمة وجلالة قدر القرآن الكريم أن شرّف العرب وجعل لهم قدراً وقيمة بإنزال القرآن عليهم، فإن البشرية لم تعرفهم إلا بكتابهم وعقيدتهم المستمدة من الكتاب، فالبشرية لم تعرفهم لأنهم عرب فحسب، فذلك لا يساوي شيئاً في تاريخ البشرية، إنما عرفتهم لأنهم يحملون حضارة الإسلام وفكره، وهذا الأمر له مدلول عظيم في تاريخ البشرية، فكانت رحمة الله بهم أن ينزل هذا القرآن الذي فيه شرفهم وذكرهم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:10]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:2].

---

(1) في ظلال القرآن،لسيد قطب، (3848/6)

وزيادة في شرف هذا القرآن وعظمته كان لإنزاله كيفية تميزه عن غيره من الكتب السماوية وحكم جليلة في إنزاله بهذه الصورة، ولبيان ذلك نوضح ما يلي:

1- كيفية إنزاله:

اختلف العلماء في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال(1):

- أحدها، أنه نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة، أو ثلاثة وعشرين، أو خمسة وعشرين، وذلك على حسب الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة.
- القول الثاني، أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة.
- القول الثالث، أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة، من سائر الأوقات.

وترى الباحثة أن الرأي الأول هو الأصح والأشهر، لأسباب منها:

أ- فقد رجح هذا الرأي السيوطي وغيره من العلماء.

ب- استدل أصحاب هذا الرأي بأحاديث صحيحة منها عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (**أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض**)(2).

2- الحكمة في إنزاله جملة إلى السماء وإنزاله منجماً:

- قيل: السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام أهل السموات أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم(3).
- إن الله ﷻ أراد لهذا الكتاب التشريف له ولمن نزل عليه فجعل الأمرين إنزاله جملة ومنجماً.

---

(1) الإتقان، (142/1)

(2) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة (إنا أنزلناه) (578/2)، ح(3958)، تعليق الذهبي في التلخيص، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(3) الإتقان، (144/1)

3-الحكمة من إنزاله عربياً:

- إنزاله عربياً على العرب؛ لأن لسانهم وكلامهم عربي فإنزاله بلسانهم ليعقلوه ويتدبروه وقطعاً لأعذارهم بالكلية.
- لأن لغة العرب أوضح وأبين وأوسع اللغات وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فكان إنزال أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكان القرآن الكريم كاملاً من جميع الوجوه(1).

4-مظاهر كون القرآن الكريم فيه ذكر العرب وشرفهم:

- نزل بلغتهم.
- الكتاب الذي جعلهم يقودون البشرية لقرون طويلة عندما حملوه وتدبروا آياته.
- المعجزة الخالدة الباقية ليوم القيامة بخلاف غيره من المعجزات(2).

ثانياً: تدبر القرآن.

تدبر القرآن الكريم من أشرف الأعمال، وأجلها، وأوضحها سبيلاً لمعرفة أصول دين الله ﷻ ، حيث كان سبب إنزاله ليتدبره الناس لا ليُهجر، أو يتخذ مجرد ترانيم أو قلائد وتمائم تعلق.

هذا الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على رسوله محمد ﷺ وهو مبارك لا تنضب معانيه، ولكن هذه المعاني المباركة لا يقتبس منها إلا الذين يتدبرون آياته، يعملون عقولهم فيتدبرون معاني القرآن؛ لأنهم عرفوا الغاية من إنزاله أن يتدبره الناس، وليس الغرض من التدبر مجرد الترف العلمي، والافتخار بتحصيل المعرفة، إنما أصحاب العقول أعملوا عقولهم وفهموا وتدبروا الآيات لغرض التذكر والعظة والعمل بموجب العلم.

ولتعرف كيف تتدبر القرآن حق التدبر إليك ما يلي:

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، (466/2)

(2) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد السيد طنطاوي، (2885/1).

1- معنى التدبر[1]:

تدبر الأمر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور وما يؤول إليه.

ومعنى تدبر القرآن: "تأمل معانيه وتبصر ما فيه".

أو هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم[2] ومراميه البعيدة.

2- أهمية التدبر في الكتاب والسنة:

لقد حث الله ﷻ عباده على التدبر والاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات؛ حيث قال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص:29].

يذكر الإمام النووي[3] – رحمه الله – أن على قارئ القرآن –عند القراءة– أن يكون شأنه الخشوع والتدبر وهذا هو المقصود من قراءة القرآن وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب.

وأورد كذلك عن أحوال السلف وتدبرهم أن جماعة منهم كانوا يتلون آية واحدة يتدبرونها إلى الصباح ومنهم من صعق عند القراءة.

وأن أحد الصالحين قال: دواء القلوب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين وعَنْوَنَ لِبَابٍ في كتابه عن التدبر فقال: "في استحباب ترديد الآية للتدبر"[4].

3- كيفية التدبر للقرآن ووسائله:

يقول الإمام السيوطي: "وصفة التدبر أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه مما

---

(1) انظر: التعريفات، ص (58)، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات، لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص(10).

(2) الكلم: هو اللفظ المكون من ثلاث كلمات أو أكثر، يحسن السكوت عليها. انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لمحمد عبد الحميد، (16/1).

(3) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محي الدين، علامة بالفقه والحديث، ولد وتوفي في نوا (من قرى حوران بسوريا) وإليها نسبته، من كتبه تهذيب الأسماء واللغات، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، توفي سنة 676هـ . انظر: الأعلام (149/8)

(4) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، ليحيى بن شرف النووي، ص(65-67).

مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب"[1].

وهناك أسباب ووسائل تعين على التدبر ومنها[2]:

1- التأدب بآداب قراءة القرآن وأولها يجب على القارئ الإخلاص ومراعاة الأدب مع القرآن، وأنه يناجي الله ﷻ ويقرأ على حال من يرى الله فإن لم يكن يراه فإن الله ﷻ يراه.

2- الترتيل والتغني بالقراءة وتحسينها، لقوله تعالى ﴿...**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ [المزمل:4] فقد روى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(ليس منا من لم يتغن بالقرآن)**[3].

صلاة الليل والقراءة فيه: قال ﷻ: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾ [المزمل:6]، عن ابن عباس ﷺ وقوله ﴿**أَقْوَمُ قِيلًا**﴾: هو أجدر أن يفقه القرآن[4].

وتخصيص قراءة الليل لأنها وقت الصفاء والتركيز.

3- أن يستحضر أهداف قراءة القرآن؟ أي لماذا يقرأ القرآن.

4- أن تكون القراءة حفظاً عن ظهر قلب بحيث يحصل التركيز التام وانطباع الآيات عند القراءة.

5- أن يقوم بتكرير الآيات وترديدها فذلك أدعى للتدبر والتثبيت.

6- ربط الآيات بواقعك اليومي وما يستجد من أمور.

إن هذه الأسباب والوسائل تعين على تدبر وفهم معاني القرآن الكريم ولا يمكن حصر وقصر التدبر على هذه فقط، فهناك من الأسباب الكثير وجميعها بيد الله ﷻ يعطيها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء، وقد يفتح الله لإنسان غير هذه الوسائل والأسباب التي تعينه على التدبر.

---

(1) الإتقان، (311/1).

(2) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، ص (57)، تدبر القرآن، لسلمان السنيدي، ص (31)، مفاتح تدبر القرآن والنجاح، لخالد اللاحم، ص(11-12).

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [الملك:13]، (304/4)

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل، باب نسخ قيام الليل والتيسير فيه، (357/1)، ح1304، قال الشيخ الألباني: حسن.

4- ثمرات التدبر:

تدبر القرآن الكريم يكفل لصاحبه كل خير، أما الهدرمة والعجلة في القراءة دون التدبر فتأثيرها في القلب ضعيف.

قال النووي – رحمه الله – "وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة"، واستدل على ما قال بحديث عن عبدالله، يعني بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ **(لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث)**(1)(2).

ومن ثمرات التدبر(3):

1- أنه يجعلك مرهف الذوق ورقيق الحس.

2- يدفعك للعمل بقناعة ويقين.

3- يتكشف لك الكثير من الحقائق، و يزيدك إيماناً بأن هذا هو كلام الله ﷻ ويضيء لك أنوار الحق والهداية وتزيدك ثباتاً على الإيمان.

ومن ثمرات المتدبر كذلك أن من تدبر كتاب الله آنسه الله بكتابه في دنياه وآخرته، وأضاء عليه من أنوار الفهم ونجاه من الوهم، وذاق حلاوة المناجاة، وفتح له أبواب الفضل، ورزق الحكمة؛ لأن القرآن كتاب الله فمن تدبره عظّم الله ﷻ ﴿**ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج:32]. (4)

نخلص مما سبق أن ثمرات القرآن الكريم وتدبره أكثر من أن تحصى، ولو كان لتدبر القرآن ثمرة واحدة فقط، وهي التلذذ بالقرآن لمن فتحت له أبوابه، فهذا لا تعدله، أي لذة أو متعة في هذه الحياة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومن تدبر القرآن الكريم وفهم معانيه، وأعمل عقله نال من ثمرات التدبر والتلذذ بالقرآن والسكينة والطمأنينة في القلب على حسب تدبره، فكلما تدبر أكثر في القرآن نال من هذه الثمرات أكثر، وغرست محبة الله وكلامه في قلبه واستنار بنور كلام الله في دنياه وآخرته، عرف أن هذا

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، (386/1) ح (1394) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(2) التبيان في آداب حملة القرآن،ص(49).

(3) انظر: أفلا يتدبرون القرآن/ سالم فرج سعد، مقال في مجلة المنتدى، البيان (163) ، ص (139).

(4) انظر: خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة،لفضل عباس، ص (550)

كلام الله، ولا اختلاف ولا اختلال فيه؛ لأنه آمن بقوله تعالى ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82].

ثالثاً: حفظ القرآن.

القرآن الكريم مصدر عز وكرامة للمسلمين، وسر السعادة في الدنيا والآخرة وقد تكفل الله ﷻ الحفظ لكتابه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

لذلك جمع الله ﷻ للقرآن الكريم الحفظ والجمع بمعانيه المختلفة.

1- المقصود بحفظ القرآن:

حفظ القرآن بمعنيين، هما[1]:

- **الحفظ في الصدور:** حيث ورد الجمع بمعنى الحفظ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة:17]. ومنه جُمَّاع القرآن، أي حفاظه.
- **الحفظ في السطور:** وهو جمع القرآن الكريم وكتابته كله مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة في صحيفة على حده، أو مرتب الآيات والسور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعاً، وقد رتبت إحداها بعد الأخرى.

كما ذكرت أن القرآن الكريم هو مصدر عز وكرامة المسلمين وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لهذا أولوه العناية والاهتمام الشديد للحفاظ عليه وحفظه كما أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ إلى أن وصل إلينا القرآن سالماً محفوظاً وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكان موضع اهتمام المسلمين جميعاً، النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم إلى يوم القيامة، ونبين ذلك على النحو التالي:

2- مظاهر عناية المسلمين بالقرآن:

أ- عناية النبي ﷺ بالقرآن الكريم:

لقد كان النبي ﷺ سيد الحفاظ ونقطة البداية في حفظ القرآن، وتمثل اهتمام النبي ﷺ وعنايته بالقرآن في أمور عدة، منها:

---

(1) انظر: مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، ص(65) .

- إنه ﷺ لشدة حرصه واهتمامه على حفظ القرآن الكريم كان يتابع جبريل عليه السلام عند تلقي الوحي منه ويقرأ معه قبل أن ينتهي جبريل عليه السلام وذلك لئلا ينساه، ويتفلت منه بسبب نسيانه، فكان ذلك منه حتى طمأنه الله ﷻ وضمن له بقاء القرآن محفوظاً في صدره وأن لا ينسى منه شيئاً حيث قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[القيامة:16-19]. وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ۞ إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى،6-7]. يقول ابن كثير: "لا تحرك به لسانك أي: بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿...وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114] ثم قال تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي: أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ أي: إذا تلاه عليك الملك، عن الله تعالى، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي: فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أوردنا وشرعنا"(1).
- كان جبريل عليه السلام يعارضه القرآن كل سنة مرة في شهر رمضان، وفي السنة التي توفي فيها الرسول ﷺ عارضه فيها مرتين، إيذاناً بقرب أجله ﷺ وتأكيداً لحفظ القرآن في صدره.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه)**(2).
- كذلك من حفظه ﷺ وعنايته بالقرآن اتخاذه كتّاباً للوحي وهم كثيرون منهم: الخلفاء الراشدون الأربعة،ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب وغيرهم -رضي الله عنهم-.

ولم ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مجموع، وإن كان متفرقاً في الرقاع والعسب وغيرها، وقد حفظ القرآن في عهده عدد من الصحابة كل بحسب ما يتيسر له منه فضمن الحفاظ على القرآن بالحفظ في الصدور وبالكتابة في السطور(3).

---

(1) تفسير ابن كثير،(452/4).

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، (227/3).

(3) انظر: مباحث في علوم القرآن، ص(69).

ب- عناية الصحابة - رضي الله عنهم - بالقرآن الكريم:

عناية الصحابة – رضي الله عنهم – بالقرآن كان استمراراً لما بدأه النبي ﷺ؛ حيث مهد لهم الطريق ورباهم على ذلك.

وتمثل اهتمامهم في أمور عدة، منها:

- حرصهم الشديد على تلقي القرآن مشافهة من رسول الله ﷺ وحفظهم ما يتلقون من رسول الله ﷺ من الآيات والعمل بأحكامها، فتعلموا القرآن من رسول الله ﷺ لفظاً ومعنى وعملاً.
- جمع القرآن وكتابته؛ حيث لم يكتف الصحابة – رضي الله عنهم – بحفظهم للقرآن في الصدور، بل أضافوا الكتابة في السطور، وما كان منهم من جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ﷺ لما خافوا عليه ضياع بعض أجزائه بسبب موت حفاظه في معركة اليمامة، وما كان في عهد عثمان بن عفان ﷺ من جمع الناس في مصحف واحد لما خافوا الفتنة التي كادت أن تحدث بين المسلمين بسبب اختلافهم في وجوه القراءات[1].
- حرصهم على إقراء الناس القرآن الكريم من التابعين وغيرهم ممن لم يتمكنوا من تلقيه من رسول الله ﷺ، فكان بعدهم أجيال حفظت القرآن في الصدور والسطور وما كان من تدوين للقرآن بعد ذلك.

ج- عناية المسلمين بالقرآن في الوقت الحاضر:

لقد اتبع المسلمون في عصرنا الحاضر ما كان عليه السلف من حفظ القرآن ومدارسته في المساجد والكتاتيب وغيرها من الوسائل المتاحة لأهل كل عصر، وتجلت عنايتهم في:

- إنشاء مدارس خاصة لتعليم القرآن الكريم ودراسة كل ما يتعلق به من علوم وتجويد وقراءات وتفسير ومدارس لتحفيظ القرآن ومعاهد للقراءات.
- إنشاء كليات خاصة بالقرآن وعلومه وتفسيره وتعليم القراءات والتطلع إلى ما هو أعلى من ذلك.
- إنشاء قنوات وإذاعات متخصصة لإذاعة القرآن الكريم، وما يتعلق به، على الناس في معظم الدول الإسلامية.

---

(1) انظر: مباحث في علوم القرآن، ص (74).

- إنشاء مطابع لطباعة القرآن الكريم بكل عناية ودقة وأحدثها وأدقها في وقتنا المعاصر: مجمع الملك لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وتبلغ طاقة المطبعة ثلاثين مليون نسخة سنوياً أي بمعدل مصحف كامل كل ثانية، بدون توقف، ويقوم المجمع بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة، فقد أصدر المجمع حتى نهاية رجب عام 1423هـ أربعين ترجمة لمعاني القرآن الكريم، ويتم بالجمع تسجيل تلاوة القرآن الكريم بأصوات كبار القراء بالمملكة والعالم الإسلامي، تحت إشراف لجنة من كبار العلماء، تراقب أعمال التسجيل(1).
- إقامة الكثير من المسابقات سواء المحلية والدولية لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره.

نخلص مما سبق أن عناية النبي ﷺ بالقرآن والصحابة من بعده والتابعين ومن جاء بعدهم إلى يوم القيامة سواء كان بحفظهم له في الصدور أو السطور إنما كان ذلك تنفيذاً وتطبيقاً لما وعد الله ﷻ به من حفظه لكتابه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

المطلب السادس: التفكر في المودة والرحمة بين الزوجين.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:21].

الله ﷻ يبين هنا أن المودة والرحمة هي أساس العلاقة الزوجية، ومن أراد أن تستمر حياته الزوجية فعليه أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار، فلذكر الله ﷻ هذا الأساس القوي دلالة كبيرة، أن هذا الأساس قادر على إنهاء الكثير من المشاكل الأسرية ومواجهتها كما يجب فمن أراد استمرار حياته الزوجية وجعلها حياة سعيدة كريمة، فعليه بأن يجعل مبدأه في هذه الحياة المودة والرحمة بينه وبين زوجه، فمن هنا يدرك كلا الزوجين أن الحياة الزوجية أسمى وأكبر من مجرد غراميات وحب فقط، بل هي حياة وعلاقة تحتاج إلى الصبر ومواجهة هموم ومشاكل الحياة، فعلى المرء أن يتأمل ويتفكر في هذه النعمة (المودة والرحمة) التي جعلها الله ﷻ أساساً للحياة الزوجية، فمن أدرك ذلك عرف مدى علاقة المودة والرحمة بالبناء العقلي، فعليه دائماً أن يعمل عقله في هذه المودة والرحمة؛ لأن الحياة الزوجية دائمة ومستمرة، ويكون تفكره وتأمله من خلال معرفته الصحيحة لمفهوم ومعنى المودة والرحمة ،ومعرفة الأسباب الجالبة لهذه المودة والرحمة، وهذا ما يأتي مبيناً في هذا المطلب.

---

(1) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ص(102).

أولاً: معنى المودة والرحمة.

يذكر القرطبي في تفسيره أقوال العلماء في المراد بالمودة والرحمة [1].

فيقول: قال ابن عباس ومجاهد: المودة الجماع، والرحمة الولد.

وقيل: المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم على بعض.

وقيل: المودة المحبة، والرحمة الشفقة.

وترى الباحثة أن هذه المعاني جميعاً ليس بينها تعارض، فتفسير المودة بالجماع هو بداية ومؤشر على السكن القلبي، والجماع غالباً لا يحدث إلا بعد وجود طمأنينة وسكينة بين الزوجين، فهذا هو الاستقرار الجسدي المؤقت يتبعه استقرار دائم، هو وجود التراحم والرحمة بين الزوجين فهذه المودة والرحمة مدعاة لحصول التناسل وإيجاد الولد.

ثانياً: الأسباب الجالبة للمودة والرحمة.

1- لقد رتب الله ﷻ بالزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة، حيث حصل بالزوجة الاستمتاع واللذة وقضاء الشهوة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، وبالزواج تتحقق المودة والرحمة أكثر من أي علاقة أخرى[2].

2- خلق الله ﷻ الزوجين من نفس واحدة فذلك مدعاة لجلب الأنس والمودة والرحمة بينهما؛ حيث قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...**﴾ [الأعراف:189].

فهذه الآية الكريمة تبين أن الله ﷻ لو جعل بني آدم كلهم ذكوراً وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم، إما من جان أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف والسكن بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، فمن رحمته أن جعل أزواجهم من جنسهم ثم تمام رحمته أن جعل بينهم مودة وهي المحبة، ورحمة وهي الرأفة[3].

3- الاقتداء والتأسي بهدي النبي ﷺ في معاملته لنسائه بالمحبة والمودة والرحمة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة. وإني لم

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/14).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (613).

(3) انظر: تفسير ابن كثير، (276/2).

أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: **(أرسلوا بهــا إلــى أصــدقاء خديجة)، قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ : (إني قد رزقتُ حبهــا)** [1]، **وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعل قــرة عيني في الصلاة)** [2].

4- أن يجمعهما حب في الله قبل الحب العادي العاطفي، ويكون ذلك بمــشاركة بعــضهم البعض في بعض العبادات، وإعانة كل منهما صاحبه على حفظ القرآن، وتشجيع كــل منهم الآخر على الطاعات والقرب إلى الله ﷻ فإن هذا من أفضل مــا يجلــب بيــنهم المحبة والمودة والرحمة.

5- أن تؤمن المرأة بأن أهم وظيفة لها أن يسكن إليها الرجــل، فهــي مــصدر المــودة والرحمة التي يحتاج الإنسان إليها بعد تعبه في الحياة، فالمرأة متممة للرجل ورسالتها رسالة الفطرة، وكون المرأة هي السكن بالنسبة للرجل، بسبب ما أكرمها الله به مــن تكوين بيولوجي ونفسي يختلف عن الرجل، فالعاطفة عند المرأة قد بلغت حــداً ميــز تصرفاتها وشعورها عن نظيرتها عند الرجل، وهذه هبة من عند الله الذي قــدر كــل شيء فأحسن تقديره، وهذا التكوين يساعد المرأة على أداء وظيفتها التي أعدت لها في هذه الحياة، سواءً كانت رضاعة وتربية للأولاد، أو سكناً للزوج[3].

6- وهناك وسائل أخرى تعمل على تنمية الحب والمودة بين الزوجين، ومنها[4]:

- غض الطرف عن الهفوات والأخطاء وخاصة غير المقصود منها.
- المشاركة الوجدانية في الأفراح والأحزان.
- النصيحة فيما بينهما والكلمة الطيبة.
- المعاشرة بين الزوجين بما يضمن عفاف كل منهما.
- تبادل الهدايا وإن كانت رمزية.

---

(1) أخرجــه مسلــم في صحيحــه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عــنهم، بــاب فــضل خديجــة أم المؤمنين- رضي الله عنها- (1888/4) ح (2435).

(2) أخرجــه النسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، ص (608) ح (3939) قال الــشيخ الألباني: حسن صحيح.

(3) انظر: وظيفة المرأة أن يسكن إليها الرجل، فهي مصدر المودة والرحمة، لعلي القاضي، مقال في مجلة الدعوة، العدد (19)، ص (37)

(4) انظر: كيف تكسب زوجتك لإبراهيم بن صالح المحمود، ص (16).

- التحية الحارة والوداع عند الدخول والخروج.

ثالثاً: ثمرات المودة والرحمة والتفكر بهما.

تخلص الباحثة إلى أن للمودة والرحمة ثمرات، منها:

1- من تفكر في هذه المودة والرحمة ومن قدرها بين الأزواج لا بد أن يدله فكره على أن له إلهٌ حق مبين أقرت الفطر بربوبيته وألوهيته وحكمته ورحمته.

2- حدوث وتحقق السكن بين الرجل وزوجه، وهذا مدعاة لاستمرار الحياة الزوجية والتناسل بينهم وهي سنة الله في الحياة.

3- تحقق المودة والرحمة بالزواج دون غيره مدعاة للإقبال عليه والنفور مما عداه من عادات وعلاقات أخرى.

المطلب السابع: التفكر في آيات الكون في السماء والأرض.

أولاً: التفكر في خلق السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة:164].

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران:191].

لقد أمر الله ﷻ بالنظر والتفكر في مخلوقاته العلوية والسفلية في خلق السموات والأرض، خلق الله ﷻ السموات ورفعها بغير عمد ترونها، خلقها في ستة أيام ولو شاء لخلقها في لحظة فإنما أمره لشيء أن يقول له كن فيكون وخلق الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها وأرزاقها في أربعة أيام سواء للسائلين.

يقول ابن كثير : في معنى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ "أي تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها، وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع"[1].

يقول ابن القيم : "فتأمل خلق السماء وارجع البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها بحيث لا تصعد علواً كالنار وتهبط نازلة كالأجسام الثقيلة ولا عمد تحتها ولا علاقة فوقها، بل هي ممسوكة بقدرة الله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا..."[2].

ويقول في خلق الأرض "ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه حين خلقها واقفة ساكنة لتكون مهاداً ومستقراً للحيوان والنبات والأمتعة ويتمكن الحيوان والناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس لراحتهم والنوم لهدوئهم والتمكن من أعمالهم ولو كانت رجراجة منكفئة لم يستطيعوا على ظهرها قراراً ولا هدوّاً ولا ثبت لهم عليها بناء ولا أمكنهم عليها صناعة ولا تجارة ولا حراثة ولا مصلحة، وكيف كانوا يتهنون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصبهم من الزلازل -على قلة مكثها- كيف تصيرهم إلى ترك منازلهم والهرب، عنها وقد نبه الله ﷻ على ذلك بقوله ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[النحل:15] وقوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا...﴾ [غافر:64]. [3]

ثانياً: النظر والتأمل في الآيات الكونية في السماء.

آيات الله ﷻ في السماء كثيرة جداً لا يمكن أن يحصيها أحد، فتأمل بعضها:

1- التأمل في الشمس والقمر:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:5].

الشمس والقمر من مخلوقات الله ﷻ التي أمرنا بالتفكر فيها، فتأمل حال الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما لإقامة دولتي الليل والنهار، ولولا طلوعهما لبطل أمر العالم،

---

(1) تفسير ابن كثير، (200/1).
(2) مفتاح دار السعادة، ص(243/1).
(3) المرجع السابق(254/1).

وتأمل كذلك أحوال الشمس في ارتفاعها وانخفاضها لإقامة الأزمنة والفصول، وما في كل ذلك من المصالح والحكم الجليلة، فسبحان الله لو كان الزمان كله فصلاً واحداً لفاتت مصالح الفصول الباقية فيه، ثم تأمل الشمس والقمر وما جعل الله فيهما من النور والإضاءة، وجعل لهما بروجاً ومنازل يعلم بها حساب الأعمار والآجال والمعاملات وغير ذلك من مصالح للناس، ولقد نبه الله ﷻ على هذا في كتابه قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء:12]. (1)

2- التأمل في إنزال المطر وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض:

قال تعالى: ﴿... وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:164].

يأمر الله ﷻ بالتأمل في نزول المطر على الأرض من علو ليعم بسقيه منخفضها ومرتفعها وكل نواحي الأرض لتعم الفائدة كل مكان، ولا تتضرر منطقة بكثرة المطر أو بقلته والتأمل في الحكمة البالغة في إنزاله بقدر الحاجة، حتى إذا أخذت الأرض حاجتها منه وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها، أقلع عنها وأعقبه بالصحو، ومن تأمل وأدام الفكر في هذه النعمة عرف عظمة الله ﷻ (2).

ثم أمر الله ﷻ كذلك بالتأمل في تصريف الرياح، فهي آية من آيات الخالق وعظيم قدرته، فهبوب الرياح وركودها آية، واختلاف مهابها آية، فلولا الله الحكيم الذي أودع أسرار الكائنات لما هبت الريح أو ركدت، ولما ركدت ولما اختلفت مهابها، بل دامت من جهة واحدة، وهذا موضع العبرة والتأمل في هذه النعمة.

وتصريف الرياح إرسالها عقيماً وملقحة وهلاكاً ونصراً وحارة وباردة ولينة وعاصفة، وقيل إرسالها جنوباً وشمالاً وقيل أن تأتي السفن الكبار بقدر ما تحملها والصغار (3).

---

(1) انظر: مفتاح دار السعادة، ص(243، 245).

(2) انظر: المرجع السابق، ص (261).

(3) انظر:الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ، (175/2) ، التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج3 (73/2).

وهذه المعاني جميعاً تنطبق على معنى تصريف الرياح، فالرياح مهما كـان نوعهـا فهي إما رحمة من الله، وإما عذاباً سواء اختلف اتجاهها أو نوعها أو صـفتها، روي أن أبـا هريرة ﷺ قال: أخذت الناس ريح في طريق مكة، وعمر ابن الخطاب حاج فاشتدت علـيهم، فقال عمر لمن حوله: من يحدثنا عن الريح؟ فلم يرجعوا إليه، فبلغني الذي سأل عنه عمر من ذلك، فاستحثثت راحلتي حتى أدركته، فقلت يا أمير المؤمنين أُخبِرت أنك سألت عن الـريح، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول (**الريح من روح الله تأتي بالرحمـة، وتـأتي بالعـذاب، فـإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله خيرها، واستعيذوا به من شرها**)(1).

وكذلك أمر الله ﷻ بالنظر والتأمل والتفكر في السحاب المسخر بين السماء والأرض، وسمى السحاب سحاباً لانسحابه في الهواء، والمسخر المذلل، وتسخيره بعثه من مكـان إلـى آخر ، فهذا السحاب سائر بين السماء والأرض، يسخره ويسوقه الله إلى ما شاء من الأراضي والأماكن كما يشاء يصرفه.

والسحـاب قد يكون بماء وبعذاب، فقد روي عن عائشة – رضـي الله عنهـا – أن النبي ﷺ كان إذا رأى سحاباً مقبلاً من أفق من الآفاق ترك ما هو فيه، وإن كان في صـلاة، حتى يستقبله فيقول: (**اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به**) فإن أمطر قال: (**اللهم سَيْباً نافعـاً**) مرتين أو ثلاثة، وإن كشفه الله ولم يمطر حمد الله على ذلك(2).

فمن تأمل وفكر في هذه النعم العظيمة يرشده فكره ويهديه إلى أن هـذه إنمـا هـي دلالات وعلامات تدل على وحدانية الله ﷻ وقدرته.

ثالثاً: النظر والتأمل في الآيات الكونية في الأرض.

آيات الله الكونية في الأرض كثيرة، كما أن آياته في السماء كثيرة، وكذلك لا يمكـن أن يحصيها ويعرف حق فضلها وتمام نعمتها إلا من أوجدها وهو الله ﷻ ومن هذه الآيات:

1- الجبال:

قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا...**﴾ [الرعد:3].

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في مسند المكثرين من الصحابـة، مسند أبي هريرة ﷺ، ص (546) ح(7619)، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن.

(2) أخرجه ابن ماجة في سننـه، كـتاب الدعـاء، بـاب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب والمطر، ص (641) ح (3889)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

أمر الله ﷻ بالتأمل في هذه الجبال التي فيها من الحكم العجيبة الكثير، لا كما يحسبها الجاهل الغافل فضلة على الأرض لا حاجة إليها، ففيها من المنافع ما لا يحصيه إلا ناصبها، ومن هذه المنافع ما يكون فيها من كهوف ومغارات، التي هي بمنزلة الحصون والقلاع، وما فيها من معادن واختلاف أصنافها من ذهب ونحاس وفضة، وغير ذلك من المعادن التي يعجز البشر عن معرفتها ومنافعها(1)، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل:15].

ومن منافعها ما ذكره الله ﷻ في كتابه من أنها أوتاد للأرض تثبتها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ:6-7].

يقول سيد قطب: " وجعل الجبال أوتادا ... يدركه الإنسان من الناحية الشكلية بنظره المجرد، فهي أشبه شيء بأوتاد الخيمة التي تشد إليها. أما حقيقتها فنتلقاها من القرآن، وندرك منه أنها تثبت الأرض وتحفظ توازنها ... وقد يكون هذا لأنها تعادل بين نسب الأغوار في البحار ونسب المرتفعات في الجبال... وقد يكون لأنها تعادل بين التقلصات الجوفية للأرض والتقلصات السطحية، وقد يكون لأنها تثقل الأرض في نقط معينة فلا تميد بفعل الزلازل والبراكين والاهتزازات الجوفية ... وقد يكون لسبب آخر لم يكشف عنه بعد"(2)

فخلق الجبال ومنافعها من أكبر الشواهد على قدرة باريها وفاطرها وعلمه وحكمته ووحدانيته، فهذه الجبال سبحت وخشعت وسجدت لله ﷻ من حمل الأمانة.

2- البحار:

النظر والتأمل في آية خلق البحر الذي تجري فيه الفلك خلقاً عجيباً عظيماً، إذ لو كان ماءً غامراً لأكثر الأرض، لما انتفع الإنسان من اليابسة، ثم النظر والتأمل فيما أودع الله فيه من الأملاح والعقاقير التي تستفاد من مائه، وكذلك التأمل في سير السفن فيه وهو ماء، حيث يتعذر المشي، عليه فجري السفن آية من آياته العجيبة، فمن تأمل في هذا كله وكيف ألهمه الله وهداه، كيف سخر له هذا البحر ليمشي ويسلكه كما يمشي على الأرض(3).

---

(1) انظر: مفتاح دار السعادة، ص(255، 256).

(2) في ظلال القرآن ، لسيد قطب،(3804/6).

(3) انظر: التحرير والتنوير،لابن عاشور ، مج 2 (68/2).

رابعاً: علاقة الأنبياء بالآيات الكونية.

جعل الله ﷻ للأنبياء خصائص أخرجتهم عن النطاق البشري في تسخير ما في الكون من ظواهر تأييداً لهم وإعجازاً لغيرهم، فنجد بعض الأنبياء قد سخر الله لــه الــريح تجــري بأمره، قال تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ...**﴾ [الأنبياء:81].

وهذا داود عليه السلام قد سخرت له الجبال والطير، قال تعــالى: ﴿...**وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[الأنبياء:79].

وهذا موسى عليه السلام سخر الله له العصا فشق بها البحر، ونبينا محمد ﷺ ســخر الله لــه القمر فانشق على عهده قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۞ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ**﴾ [القمر:1-2].

إن المتأمل لعلاقة الأنبياء بهذه الآيات الكونية كيف سخرها الله لهم عرف الحكمة من ذلك لتكون دلائل على صدق نبوتهم ورسالاتهم، وأنها آية دالة على قدرة ووحدانية الله.

خامساً: ما تخلص إليه الباحثة كيف أثر التفكر في الآيات الكونية بالبناء العقلي.

إن المتأمل والناظر لهذه الآيات الكونية نظرة فكر واعتبار أثمر هذا الفكــر ثمــرات كثيرة منها:

إن النظر في الآيات الكونية يعطي العاقل معرفة وإيماناً قويــاً بعظمــة الخــالق ﷻ وبأهليته لأن يعبد وحده؛ لأنه إذا نظر في هذا الكون وما فيه من العجائب عــرف أن الــذي خلق هذا الكون العظيم بهذا النظام الدقيق فهو وحده الموصوف بالعظمة والقدرة، وأنه علــى كل شيء قدير، وهو المستحق لأن تصرف له جميع العبادات.

الخلاصة:

1- القرآن الكريم تناول جميع جوانب التفكر فلم يدع مجالاً إلا دعا إلى التفكر فيه، فيمــا عدا التفكر في الله تعالى. لأن التفكر فيه تبديد لطاقة العقل فيمــا لا يمكنــه إدراكــه، حيث دعاه إلى التفكر المادي في مخلوقات الله في السماوات وفي نفسه، وتجاوزذلك إلى الجوانب المعنوية كما في العلاقة بين المرء وزوجه، وكذلك التفكر فــي الآيــات التنزيلية، ومنها مشهودة منظورة وأخرى مسموعة مقروءة.

2- كثرة الأدلة والبراهين والدعوة للتفكير بأساليب شتى ويرجع هذا كله إلى أن عقول الناس متفاوتة ...

3- ختم الكثير من الآيات القرآنية بـ (تعقلون) (تتفكرون) (تتدبرون) (يتذكرون) (يؤمنون) (يتقون) وهذا يدل على أن المراد من العقل عمله وثمراته.

4- العقل الأخروي هو العقل الذي إذا رزقه الإنسان تفكر في عاقبة أمره، وعرف كيف يعبد ربه وعرف الحكمة في خلقه وإيجاده، فإذا رزق الإنسان هذا العقل تذكر وتدبر، وإذا تذكر وتدبر حمله ذلك على العمل والتقوى.

5- تكرر في القرآن التفكر والتذكر بآيات الله التي نصبها كدلالة على عظمته وأمر عباده أن يعتبروا بها وسماها آيات، وتعني علامات ودلالات تدل على عظمة الخالق، وعلى كمال قدرته، وتفرده بالربوبية واستحقاقه للألوهية .

6- الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ ما خلق شيئاً من المخلوقات عبثاً، بل له حكمة في كل شيء يخلقه ويوجده في هذه الدنيا، قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الدُخان:38-39]

المبحث الثالث

الإيمان بالغيب ودوره في البناء العقلي.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دلالة العقل على هدم الشرك وبناء التوحيد.

المطلب الثاني: الإيمان بأن الرزق والأجر على الله ودوره في البناء العقلي.

المطلب الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر ودوره في البناء العقلي.

المطلب الرابع: الإيمان بأن الدار الآخرة خير وأبقى ودوره في البناء العقلي.

المبحث الثالث

الإيمان بالغيب ودوره في البناء العقلي

الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، حيث يتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما أدركته حواسه، بل يدرك الإنسان ما هو أوسع من ذلك، يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه حواسه، أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس. فيشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وعْيه في عمره القصير المحدود، وأن وراء الكون حقيقة أكبر من الكون، حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار، ولا تحيط بها العقول وعندئذ يصان الفكر عن التبدد، والانشغال بما لا يخلق له.

والعقل لا يوصلك إلى الله ﷻ وغاية أمره أن يوصلك إلى ما دون ذلك، وهو اليقين بأن لك إلهاً خالقاً، وأن هناك قاضياً أكبر يوم الحساب. أما معرفة الله في أسمائه وصفاته وأفعاله ومطلوباته من عباده فذلك عائد للإيمان، فالله غيب، والإيمان لا يصح إلا بالإخبار عن الغيب، فالعقل وحده لا يتعرف على الله، إنما يصير التعرف على الله تعالى من خبر المخبر الصادق وهو الرسول، ومع ذلك فالعقل لا ينبئك أن لك إلهاً وحسب، إنما يؤكد أن هذا الإله واحد أحدٌ لا شريك له في ملكه.

حقيقة الإيمان:

هو التصديق التام بما أخبر به الرسول المتضمن لانقياد الجوارح وليس الشأن بالإيمان في الأشياء هو الذي يميز المؤمن عن الكافر؛ لأنه في تصديقه لم يعتمد على حسه بل إيمانه كان تصديقاً لما أخبر به الله ورسوله سواء شاهده أو لم يشاهد وفهمه وعقله أو لم يهتد إليه عقله وفهمه(1).

أصل الغيب:

هو كل ما غاب عنك من شيء(2).

والمراد بالغيب:

ما لا يدرك بالحواس مما أخبر الرسول ﷺ صريحاً بأنه واقع أو سيقع، مثل:

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن ،للسعدي، ص(34).

(2) انظر: جامع البيان ، للطبري، (138/1)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (171/1)، فتح القدير للشوكاني، (62/1).

وجود الله، وصفاته، ووجود الملائكة، والشياطين، وأشراط الساعة، وما استأثر الله بعلمه[1].

الإيمان بالغيب:

هو الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه والإيمان بالحياة بعد الموت[2].

وعلى هذا فالعقل لا يستطيع أن يخوض في هذه الميادين بنفسه؛ لأنها قضايا غيبية لا تدخل في نطاق قدرات العقول البشرية؛ لذلك كان عليه أن يقف في هذه العلوم بما أوصاه الله عن طريق رسله.

المطلب الأول: دلالة العقل على هدم الشرك وبناء التوحيد.

التوحيد أصل الدين وأساسه المتين، ومنزلة علمه من سائر العلوم بمنزلة الرأس من الجسد، فهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع.

والإنسان حتى يكون مؤمناً لا بد له من معرفة علم التوحيد وأن تظهر آثار هذا العلم في أقواله وأفعاله وجميع أحواله.

وحاجة العباد إلى علم التوحيد أشد من حاجتهم إلى غيث السماء، فهو أعظم الضرورات، فلا حياة للقلوب إلا به ولا سعادة للإنسان إلا إذا عرف ربه ومعبوده وفاطره، بأسمائه وصفاته وأفعاله، معرفة يقينية وعرف رسول ربه وعرف الحكمة من وجوده على الأرض وعلم بالحلال والحرام، فكانت رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم الرسل ليكونوا معرفين وداعين إلى التوحيد فجعل الله ﷻ مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم هي معرفة المعبود ﷻ . قال تعالى: ﴿**إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ...**﴾ [فصلت:14].

استمدت عقيدة التوحيد قدسيتها من وحي السماء وكانت تعتمد أولاً على كتاب الله في الغرس فجاء منهجها في غرس هذه العقيدة، هو أن يعرضها على الناس بكل سهولة وبساطة فلفت الأنظار إلى ملكوت السموات والأرض ولفت العقول إلى التفكر في آيات الله، فاستطاع

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (171/1)، تفسير ابن كثير، (45/1).

(2) انظر: جامع البيان، للطبري، (138/1)، تفسير ابن كثير، (45/1).

أن ينقل الأمة من الوثنية والشرك والضلال إلى عقيدة التوحيد، فملأ قلبها بالإيمان واليقـين، فاستطاعت أن تربي أصحابها فكانوا قادة للإصلاح وأئمة للهدى والخير.

وفي هذا السياق جاءت آيات كثيرة تبني عقيدة التوحيد وتهدم الشرك ليكون الغـرس الأول الصحيح في المرء فيكون الزرع صالحاً بعد ذلك، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم:28].

ولمعرفة دور التوحيد في بناء عقولنا لا بد من الوقوف على معنى التوحيد، وكيفيـة تحقيقه، ومعنى الشرك، وكيف نحذره، ويتضح هذا كله فيما يلي:

أولاً: معنى التوحيد وأنواعه.

1- معنى التوحيد:

هو نفي الكفء والمثل عن ذات الله تعالى، وصفاته وأفعالـه، ونفـي الـشريك فـي ربوبيته، وعبادته ﷻ.

قال تعالى في نفي الكفء:﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝ اللهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص]. وقال في نفي الشريك في الربوبية ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ ...﴾ [الرعد:16]

وقال في نفي الشريك في الألوهية ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ...﴾ [محمد:19] (1)

فتوحيده تعالى: هو تفرده ﷻ بالربوبية والألوهية، وأسماء الجلال وصفات الكمال، فلا يؤمن العبد بالله تعالى حتى يعتقد أن الله ﷻ رب كل شيء ولا رب غيره، وإله كل شيء ولا إله غيره، وأنه الكامل في أسمائه وصفاته ولا كامل غيره.

2- أنواع التوحيد(2):

أجمع العلماء على أن التوحيد ثلاثة أنواع، وهي:

---

(1) عقيدة المؤمن، لأبي بكر جابر الجزائري، ص(87)

(2) انظر: كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ، ص(11-14).

الأول: توحيد الربوبية:

وهو أن يعتقد العبد أن الله ﷻ هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، وهو الذي ربى خلقه بالنعم وخواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة والعلوم النافعة والأخلاق الحسنة والعمل الصالح، وهذه التربية نافعة للقلوب والأرواح ومثمرة لسعادة الدارين.

الثاني: توحيد الألوهية أو العبادة:

وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وأفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده.

وهذا التوحيد يستلزم قسمي التوحيد ويتضمنهما؛ لأن الألوهية هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة وتفرد الله ﷻ بصفات الكمال والربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.

جميع الرسل دعوا إلى توحيد الألوهية ونهوا عن ضده من الشرك وخصوصاً محمد ﷺ فآيات القرآن تأمر به وتفرضه وتقرره.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

وهو اعتقاد انفراد الرب ﷻ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجمال والجلال، ولا يشاركه فيها أحد، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ من جميع الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة بجميع معانيها على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها أو تحريف أو تمثيل أو تعطيل، ونفي ما نفاه عن نفسه ونفاه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله.

3- فضل التوحيد:

التوحيد فضائله كثيرة وآثاره حميدة وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله.

ولعظم شأن وفضل التوحيد فمن العلماء[1] من بوب له في كتبه فقال باب فضائل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

---

(1) انظر: كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص(15-16).

وفضائل التوحيد كثيرة نذكر منها[1]:

1- سبب لدخول الجنة ويمنع صاحبه من الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مـــن مثقال حبة خردل، و إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكليـــة. عـــن عبـــادة بـــن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ **(من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منـــه، وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء)**[2].

2- السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.

3- السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وإن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.

4- جميع الأعمال والأقوال متوقفة في قبولها ونيل الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوى التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأعمال والأقوال وقبلت.

5- التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينة في قلبه وكره إليه الكفـــر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين.

6- يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام فعلى حسب كمال توحيد المـــرء يتلقـــى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة ورضا وتسليم بقضاء الله وقدره.

ثانياً: الشرك تعريفه وأنواعه.

1- تعريف الشرك:

الشرك: هو ضد التوحيد كالكفر ضد الإيمان، يقال شركته في الأمر إذا صـــرت لـــه شريكاً، والشرك في ربوبية الله تعالى أو أسمائه وصفاته كفر، وفي عبادته تعـــالى إن كـــان الفاعل له عالماً به مصراً عليه كفر كذلك[3].

---

(1) انظر: القول السديد، ص(17-18).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعـــاً (57/1) ح(28) .

(3) انظر: عقيدة المؤمن، ص (107)، العقيدة في الله ، لعمر سليمان الأشقر، ص(264).

2- أنواع الشرك[1]:

الشرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر يخرج من الملة، ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه، ويكون بصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله فهو يجعله لله نداً يدعوه كما يدعو الله أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله ﷻ أو يعبد معه غيره من حجر أو شمس...

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء...**﴾ [النساء:48].

النوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة، لكنه ينقص التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان.

القسم الأول: شرك ظاهر، وهو أفعال وأقوال.

فالأفعال: مثل لبسة الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم وغيرها خوفاً من العين إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه، أما إذا اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر؛ لأنه تعلق بغير الله.

والألفاظ: كالحلف بغير الله وقوله: ما شاء الله وشئت.

القسم الثاني: شرك خفي، وهو الشرك في الإرادات والنيات كالرياء والسمعة، كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله يريد ثناء الناس عليه، كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويثني عليه، والرياء إذا خالط العمل أبطله، قال تعالى: ﴿...**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:110].

وقال ﷺ: قال الله – تبارك وتعالى – (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**)[2].

وقال ﷺ: (**من سمَّع سمَّعَ الله به ومن راءى راءى الله به**)[3].

---

(1) انظر: الكبائر، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ص(8، 9). القول السديد، ص(24).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (2289/4) ح(2985).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (2289/4) ح(2986)

فالشرك بالله تعالى أكبر الكبائر، فقد جعلها الإمام الـذهبي[1] -رحمـه الله- الكبيـرة الأولى في كتابه لأنه أعظم الذنوب[2].

خلاصات:

1- الشرك أكبر الكبائر قال ﷺ **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثـلاث) الإشـراك بـالله وعقـوق الوالدين...)**[3].

2- الشرك أعظم الذنوب؛ لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في صرفه له أنواع مـن العبـادة التي يجب ألا تصرف إلا لله ﷻ وهذا ظلم، بل أعظم الظلم.

3- أخبر الله ﷻ أنه لا يغفر للمشرك ما لم يتب منه قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء...**﴾ [النساء:48].

4- إن الله حرم الجنة على المشرك شركاً أكبر وأنه مخلد في نار جهنم. قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [المائدة:72].

وتخلص الباحثة إلى مدى أهمية وفضل التوحيد وخطر الشرك في البناء العقلي، فلهذا كله نعلم لماذا حرص القرآن الكريم كل هذا الحرص، وجهد سيدنا محمد ﷺ كل الجهد علـى إقرار مبدأ التوحيد وإثباته في النفوس وهدمه للشرك ليكون دعامة قوية تقي المسلمين من شر الانحطاط والانزلاق في الدنيا والآخرة، فالتوحيد يسمو بصاحبه ويبعده عـن الوقـوع فـي ميادين الخرافة وفرية التعدد؛ لأنه ينفي كل شريك عن الله ﷻ فالألوهية لا ينبغي أن تكون إلا لله العليم الخالق الرزاق وقد حض الله ﷻ في آيات كثيرة أصـحاب العقـول؛ لأنهـم هـم الطالبون للحق والمتنزهون عن المكابرة والإعراض لوفرة عقولهم، حيث اسـتخدموها فـي التدبر والتفكر للوصول إلى بناء عقيدة التوحيد في عقولهم وهدمهم لأي نـوع مـن أنـواع الشرك.

---

(1) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، حافظ مؤرخ، علامة محقـق، تركمـاني الأصل، مولده ووفاته في دمشق، تصانيفه كثيرة، منها: دول الإسلام، والأنساب، وتاريخ الإسلام الكبير، والكبائر، وغيرها، توفي سنة 748هـ. انظر: الأعلام (326/5)، تاريخ الإسلام ووفيـات المـشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (المقدمة).

(2) انظر: كتاب الكبائر، ص (8).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب بيان الكبائر وأكبرها، (91/1) ح(87).

المطلب الثاني: الإيمان بأن الرزق والأجر على الله ودوره في البناء العقلي.

أولاً: الإيمان بأن الرزق على الخالق:

الله ﷻ الخالق الرزاق، هذه أسماء حسنى لله ﷻ حيث خلق الله جميع الموجودات وبرأها وسوّاها بحكمته وصورها بأحسن صورة، وهو لم يزل وما يزال على هذا الوصف العظيم.

وتزداد نعم الله ﷻ ورحمته بهم أن تكفّل برزقهم فهو الرزاق لجميع عباده، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.

ورزق الله ﷻ لعباده يتبين فيما يأتي:

1- معنى الرزق:

الرزق عند أهل السنة: ما صح الانتفاع به حلالاً كان أم حراماً[1].

2- أقسام الرزق[2]:

أ- **رزق عام:** شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين، وهو رزق الأبدان، حيث سخر الله لهم الكون لمصالحهم.

قال تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ۞ فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾ [يونس:31-32].

ب- **رزق خاص:** وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان.

والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين، على مراتبهم منه، بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته.

3- أشكال الرزق:

ليس كل الرزق مالاً فقط، فأشعة الشمس رزق، والجار الصالح رزق، والروح التي في جسدك هي رزق، والزوجة الصالحة رزق، والدعاء رزق، وركعتان في آخر الليل رزق.

وهذا يتوافق مع تعريف الرزق وأقسام الرزق التي إما أن تكون رزقاً للجسد أو رزقاً للقلوب والأرواح.

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (220/1).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(29).

وقد جاء تفسير الرزق في القرآن على تسعة أوجه[1]: الرزق بمعنى العطاء، الطعام، الغداء والعشاء خاصة، الشكر، المطر، النفقة، الفاكهة خاصة، الثواب، الجنة.

4- الأسباب الجالبة للرزق (مفاتيح الرزق):

الرزق مقدر من عند الله، ولكن لا يعني هذا ترك الأسباب والسعي في تحصيل الرزق، بل الأخذ بها واجب، وهي كثيرة، منها:

السبب الأول: تقوى الله تعالى.

جعل الله – تعالى – التقوى من الأسباب التي تجلب الرزق وتزيده فقال: ﴿...**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**...﴾ [الطلاق:2-3].

فكل من اتقى الله ولازم مرضاته في جميع أحواله فإن الله ﷻ يثيبه في الدنيا والآخرة، ومن جملة ثوابه أن يجعل له مخرجاً وفرجاً من كل شدة ومشقة، ويسوق إليه الرزق من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به.

يقول ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية "أي: ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله"[2].

السبب الثاني: الاستغفار والتوبة.

قال تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا**﴾ [نوح:10-12].

يقول ابن كثير – رحمه الله – "أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعمتموه كثر الرزق عليكم أسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها"[3].

---

(1) انظر: الوجوه والنظائر، ص234.
(2) تفسير ابن كثير، (379/4).
(3) المرجع السابق، (426/4).

السبب الثالث: التوكل على الله.

التوكل على الله من الأسباب التي تستجلب بها الأرزاق. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً)**[1].

والتوكل على الله ﷻ لا يقتضي ترك الأخذ بالأسباب، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل.

السبب الرابع: صلة الرحم.

صلة الرحم -كذلك- من الأسباب الجالبة للرزق وقد عنون البخاري - رحمه الله - لهذا السبب بقوله (باب من بسط له في رزقه بصلة الرحم) أي بسبب صلة الرحم.

وقد ذكر الإمام تحت هذا الباب أحاديث، منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه)**[2].

ففي هذا الحديث بين النبي ﷺ أن من أحب أن يبسط له في رزقه فعليه بصلة الرحم، فالبسط في الرزق من الآثار والثمار الطيبة لصلة الرحم.

السبب الخامس: الإنفاق في سبيل الله.

قد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تدل على أن الإنفاق في سبيل الله من الأسباب التي يستجلب بها الرزق.

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ:39].

ابن كثير يفسر الآية فيقول: "أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب.

كما ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(قال الله ﷻ أنفق أنفق عليك)** وقال: **(يد الله مَلأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار...)**[3].

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله ص(529) ح (2342)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب من بسط له في رزقه بصلة الرحم (49/4).

(3) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة هود (141/3)

وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: **(ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً)**[1] [2].

فهذه الأحاديث تبشر بالرزق والخلف على من أنفق.

السبب السادس: ترك المعاصي والاستقامة على دين الله والعمل بالطاعة.

هذا السبب هو أهم الأسباب، بل هو جماع هذه الأسباب كلها، فما استجلب الرزق إلا بالطاعة، وما محقت البركة والرزق إلا بالمعاصي وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولو استقام الناس على طاعة الله ﷻ لرزقهم وبسط لهم ووسع عليهم في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾ [الجن:16].

إن أسباب ومفاتيح الرزق كثيرة يجب الأخذ بها وبطاعة الله ﷻ وإن كان الرزق مقدراً من عند الله ﷻ فالأخذ بالأسباب لا يتنافى مع ما قدر للإنسان وقد جعل الله ﷻ لكل شيء سبباً يجلبه وآفة تبطله، فمن أراد أن يبسط له في رزقه فعليه بالأخذ بأسباب الرزق والابتعاد عن المعاصي التي هي آفة تمحق الرزق والبركة.

ثانياً: الإيمان بأن الأجر بيد الخالق.

مبدأ الثواب والعقاب أمر أقرته شرائع السماء والأرض، وقامت عليه حياة الناس في القديم والحديث، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97].

ولتوضيح مفهوم الأجر نقف على ما يلي:

1- معنى الأجر:

الأجر: ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً[3].

2- الأجر في القرآن:

الأجر في القرآن جاء على معانٍ عديدة[4]:

أحدها: بمعنى مهور الزوجات، قال تعالى: ﴿...فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً...﴾ [النساء:24].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (250/1)

(2) تفسير ابن كثير، (547/3).

(3) مفردات ألفاظ القرآن، ص (64).

(4) انظر: الوجوه والنظائر، ص(83).

ثانيها: بمعنى ثواب الطاعة، قال تعالى: ﴿...وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:96]

ثالثها: بمعنى المقابل المادي على عمل ما. قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ...﴾ [يوسف:104].

رابعها: بمعنى نفقة المرضعات. قال تعالى: ﴿...فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ...﴾ [الطلاق:6]. أي نفقة الرضاع.

الخلاصة:

إن الإيمان بأن الأجر بيد الخالق عقيدة آمن بها الأنبياء ودعوا الناس إليها، فهود عليه السلام قالها صريحة في قوله تعالى ﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [هود:51].

فهذه الآيات من سورة هود جاءت مخبرة عن قيل هود لقومه: يا قوم لا أسألكم جزاءً ولا ثواباً ولا أجراً على دعوتي لكم بإخلاص العبادة لله وخلع الأوثان، بل الأجر والثواب في هذه الدعوة على الذي خلقني وهو الله ﷻ، وقد ختمت هذه الآية بقوله ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ ليعلم مدى أهمية هذه العقيدة في بناء عقولنا فمن آمن وأسلم بهذه العقيدة أن الأجر على الله ما خاف في دنياه وما انتظر ثناءً أو شكراً على أي عمل قام به، فأدى هذا إلى إخلاص أعماله لله ﷻ وخلوّها من الرياء.

المطلب الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر ودوره في البناء العقلي.

الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الإيمان وأحد أركانه الستة التي لا يتم إيمان العبد إلا بها.

ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل –عليه السلام– الرسول ﷺ عن الايمان قال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: أي جبريل صدقت)**[1].

---

(1) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله (36/1) ح (8).

أولاً: معنى الإيمان بالقضاء والقدر.

يقول ابن قدامة المقدسي(1):

"ومن صفات الله – تعالى – أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعليه، ولو عصمهم ما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء بحكمته، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:23].

وقال ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49]"(2).

القضاء والقدر من الغيب الذي لا يمكن معرفته أو التنبؤ به أو البحث عن الطريقة التي تعمل فيها قدرة الله ﷻ، فهذا بحث عقيم لا يستطيع العقل الإنساني أن يدرك كيفيته، وما دمنا نؤمن بالله ولا ندري كيف هو، ونؤمن بصفاته ولا ندرك كيفيتها، فكذلك علينا أن نؤمن بالقضاء والقدر ولا نسأل عن كيفيته، فمن قدّر حدود عقله، وجعل له حداً لا يتجاوزه، كان ممن علم وفقه وسلم.

ثانياً: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر(3).

إن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأمور أربعة:

أولها: أن الله ﷻ قد علم ما كان وما يكون، وعلم أحوال عباده وآجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وسائر شؤونهم، لا يخفى عليه شيء.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:12].

---

(1) هو موفق الدين أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، ثم الدمشقي، الصالحي الحنبلي صاحب "المغني" مولده بجمّاعيل من عمل نابلس، كان عالم أهل الشام في زمانه، وكان ثقة حجة نبيلاً، له مصنفات كثيرة، توفي سنة عشرين وستمائة. انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (22/ 165-172).

(2) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ص(89).

(3) انظر: حاشية كتاب أصول الإيمان، لمحمد بن عبدالوهاب، ص(71).

ثانيها: كتابته ﷻ لكل ما قدره وقضاه كائن في اللوح المحفوظ.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:70].

ثالثها: الإيمان بمشيئته النافذة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فجميع الحوادث وقعت بمشيئته وقدرته، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:30].

رابعها: خلقه سبحانه لجميع الموجودات، لا خالق غيره ولا رب سواه وكل ما سواه مخلوق له.

قال تعالى: ﴿...قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد:16].

ثالثاً: ثمار الإيمان والرضا بالقضاء والقدر[1]:

1- إن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر تعمق الإيمان في قلب المسلم وتجعله يؤمن بأن الله وحده هو النافع والضار والمعطي والمانع والمعز والمذل، وهذا يجعله متوكلاً على الله -تعالى- في جميع أموره.

2- الإيمان بالقضاء والقدر يكسب صاحبه قوة وعزيمة، إذا اطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، خلت حياته من القلق والاضطراب وأقدم على حياته دون خوف ولا هيبة، فهو لا يحزن على ماضٍ، ولا يقلق من مستقبل، وبهذا يكون أسعد الناس حالاً وأطيبهم نفساً.

3- الإيمان بالقضاء والقدر يجعل صاحبه حريصاً على معرفة أقدار الخير، ليدفع بها أقدار الشر، جاداً في كسب الرزق، فهو يدفع قدر الفقر بقدر السعي في طلب الرزق، وقدر المرض بقدر الدواء.

4- الإيمان بالقضاء والقدر يورث الإنسان الصبر على البلاء والشكر على النعم، وهذا من شأنه أن يجعله في راحة تامة لما يجري؛ لأنه كله بقضاء وقدر الله، قال رسول الله ﷺ: **(عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)**[2].

---

(1) انظر: الإيمان لعبد المجيد الزنداني، ص(157)، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، لعمر سليمان الأشقر، ص(135)، شرح أصول العقيدة الإسلامية، لنسيم شحدة ياسين، ص(268)، عقيدة المؤمن ، ص(421).

(2) أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (2295/4) ح (2999).

5- الإيمان بالقضاء والقدر يجعل صاحبه متصفاً بالشجاعة والإقدام؛ لأنه عرف وأيقن أن الأرزاق والآجال بيد الله تبارك وتعالى، فما دام العبد متوكلاً على الله فإنه لا يخشى الموت ولا يخاف في الله لومة لائم ولا يرهب الباطل، ويواجه الظلم والطغيان، وهذا سر وقوف أهل الصلاح من هذه الأمة في وجه الظلم والظالمين.

إن الإنسان إذا آمن بقضاء الله وقدره وصح فهمه لحقيقة هذا الإيمان، وامتلأ قلبه تصديقاً ويقيناً بأن كل ما يجري له من نعم، وما ينزل به من مصائب ونقم أمر محتوم لا مفر منه، وهو مراد الله وقضاؤه وقدره، وأعمل عقله وفكر وتدبر في هذا كثيراً وجعله عقيدة راسخة وعملاً وسلوكاً في حياته ووضع بين عينيه قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:216]. بات قرير العين، ورضي بمراد الله مهما كان.

المطلب الرابع: الإيمان بأن الدار الآخرة خير وأبقى ودوره في البناء العقلي.

الإيمان باليوم الآخر فريضة وواجب، وهو أحد أركان الإيمان الستة وكثيراً ما يقرن الله ﷻ بين الإيمان به والإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالمبدأ والإيمان بالمعاد؛ لأن من لم يؤمن باليوم الآخر، لا يمكن أن يؤمن بالله؛ إذ إن الذي لا يؤمن باليوم الآخر، لن يعمل؛ لأنه لا يعمل إلا ما يرجوه من الكرامة في اليوم الآخر، وما يخافه من العقوبة والعذاب، فإذا كان لا يؤمن به، صار كمن حكى الله عنهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:24].

وللإنسان خمس مراحل يمر بها(1):

مرحلة العدم، ثم الحمل، ثم الدنيا، ثم البرزخ، ثم الآخرة.

وسمي اليوم الآخر آخراً؛ لأنه آخر يوم لا يوم بعده، فهو آخر المراحل.

ولهذا يجب على الإنسان أن يفكر في هذا اليوم ويعمل له ويدرك أن العمل في الدنيا كله لهو ولعب إلا ما كان ينفعه في آخرته فعليه أن يعمل لآخرته قبل أن يأتيه الأجل فلا يستطيع بعدها العمل، فالدنيا عمل بلا حساب والدار الآخرة حساب بلا عمل، فالكيس الفطن من عرف وأدرك حقيقة كلٍ منهما وعمل.

---

(1) انظر شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح العثيمين، ص (3،2)

وفي هذا السياق وردت آيات كثيرة توضح حقيقة كلٍ من الدنيا والآخـرة، والتحـذير من الاغترار بالدنيا، وأن الآخرة هي الدائمة وهي خير وأبقى.

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:32].

يبين الله ﷻ في هذه الآية حقيقة ومصير هذه الحياة الدنيا التي يتمسكون بها ومنتهـى أمرها وأنها منتهية منقضية عن قريب، فتبين الآية حقيقة كلٍ من الدنيا والآخرة حتى يستطيع الإنسان أن يوازن بينهما موازنة صحيحة مبنية على أسس ثابتة، وهذا يعيـشه النـاس فـي واقعهم، ولكن القرآن يُذَكِّرٌ بها لغفلة الناس عنها، ورغم ما يرونه من فتنة الـدنيا وفتكهـا إلا أنهم مع ذلك يلهثون في طلبها، ويحرصون عليها كأنهم يعيشون فيها خالدين.

وبمعرفة مفهوم اللهو واللعب والأحاديث الواردة في التحذير من الدنيا يتضح حقيقـة كلٍ من الدنيا والآخرة.

أولاً: معنى اللعب واللهو والفرق بينهما:

1- معنى اللعب واللهو:

- معنى اللعب: هي أقوال وأعمال في خفة وسرعة وطيش، ليس له غاية مفيدة، بـل الغرض منه إراحة البال وتقصير الوقت واستجلاب عقل المتعب أو الصغير في حال ضعفها وأكثره يكون من الصبيان، ولذلك فهو مشتق من ريق الصبي السائل (اللعاب).

- معنى اللهو: ما يشتغل به الإنسان وترتاح نفسه إليه ولا يتعب عقله، ولا يطلـق إلا على ما فيه استمتاع ولذة ملائمة للشهوة. [1]

2- الفرق بين اللعب واللهو:

ذكر العلماء معاني كثيرة للعب واللهو وكلها يفهم منها أن كليهما يفيد: الاشتغال بمـا لا يعني العاقل من لهو وطرب، سواء كان ذلك محرماً أم غير محرم؛ لأن هناك أمـوراً قـد ثبت تحريمها بالشرع، كالزنا واغتصاب الأموال، والاشتغال بـبعض الآلات التـي تـشغل الإنسان عن القيام بواجبه، وهناك أمور أخرى لم يرد نص في تحريمها، وذلك كالألعاب التي ليس فيها نفع، كما هو شأن كثير من الألعاب المنتشرة الآن، فهذا يصدق عليه أنه من اللهـو واللعب؛ لأنه إضاعة للوقت بما لا نفع فيه، أما إذا كانت الألعاب تحقق مصلحة مفيدة كأعمال

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج 4 (193/7).

الفروسية والرماية، فإن هذا مما أباحه الشرع ولا حرج فيه، بل قد حث عليه سلفنا الـصالح، وهذا كله من يسر الإسلام وسماحته ومواكبته للفطرة.

والذي ينبغي أن ينبه إليه أن اللهو إذا أطلق دون ذكر شيء معه، فإنما يخص النساء والمتعة بهن، وقد روي عن بعض المفسرين أن اللهو يقصد به المرأة[1] والمتعة في لغة اليمن[2].

ثانياً: المقصود باللعب واللهو.

يذكر ابن الجوزي في قوله تعالى﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ**...﴾ثلاثة أقوال[3]:

أولها: وما الحياة الدنيا في قصر عمرها وسرعة انقضائها إلا كالشيء الذي يلعب به.

ثانيها: وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب ولهو، وأما الخير فيها فهو من عمل الآخرة.

ثالثها: وما أهل الدنيا إلا أهل لعب ولهو لاشتغالهم بها عما أمرهم الله به.

وترى الباحثة أن هذه الأقوال جميعاً يفسر بها قوله تعالى ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ**...﴾ وأقوى هذه الأقوال وأولاها أن هذا التشبيه للدنيا باللعب واللهو إنما هو تشبيه لأعمال الدنيا الخاصة بها التي ليس فيها مصلحة ولا نفع، أما العبادات وأعمال الخير، وما لا بد منه من ضرورات الحياة فليس داخلاً في هذا التشبيه، فإن العبادة يبقى أثرها لصاحبها بعد هذه الدار، وكذلك السعي لكسب القوت الحلال ولمن يعول من الأمور التي يؤجر عليها، بل هي من لب العبادة كذلك.

ثالثاً: التحذير من الدنيا والاغترار بها:

حذر النبي ﷺ من الدنيا وما فيها، فقد روي عن عمرو بن عوف أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين، وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال البحرين، فسمعت الأنصار بقدومه، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما انصرف تعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ

---

(1) انظر: روح المعاني، للألوسي، مج 5(194/7).

(2) انظر: خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، ص(197).

(3) زاد المسير في علم التفسير ،لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن الجوزي القرشي البغدادي، (22/2).

حيث رآهم ثم فقال:(**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلَكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتُهلككُم كما أهلكَتْهُم)**[1].

الآيات والأحاديث التي تحذر من الدنيا ليس الهدف منها -كما يظن بعض الناس- أن يعيش المسلمون فقراء عالة على غيرهم من الناس، بل الغرض والغاية ألا يفتتن الناس بالدنيا فتنسيهم الآخرة فيندمون يوم لا ينفع ندم فلا يكسبون هذه ولا تلك، ولقد طغت المادة اليوم على المسلمين، ولكنهم مع ذلك يعيشون في الدنيا عالة على غيرهم حتى في كسرة الخبز.

وهذا مصداق قول النبي ﷺ عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له)**[2].

رابعاً: ما تخلص إليه الباحثة من الفوائد والدلالات:

1- من قوله تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ...**﴾.

في هذه الآية سر تقديم اللعب على اللهو، وخلاف ذلك في آيات أخرى كما في العنكبوت، قيل: لما كان الكلام مسوقاً للرد على من أنكر الآخرة من الكفار وليس في اعتقادهم إلا ما يعجل من الدنيا الفانية المزخرفة وما فيها من مسرات قدم اللعب، والدال على ذلك وتمم باللهو. أو لما طلبوا الفرح بها وكان ذلك غايتهم وهو مطمح نظرهم وصرف الهم لازم وتابع له قدم ما قدم[3].

2- من قوله تعالى: ﴿**...وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ...**﴾.

الآية تتحدث عن أن الجميع مآله إلى الآخرة، ولكن خصص الله ﷻ الذين يتقون وهم الذين يتصفون بالتقوى، وهي الخوف من الله ﷻ وهذا الخوف هو الذي يحمل على فعل الطاعات وترك المعاصي ليكون ذلك وقاية لهم من غضب الله ﷻ.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، (13/3).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، ص: (556)، ح (2465)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(3) روح المعاني، للألوسي، مج 5(194/7).

إن علاقة الإيمان بعقيدة أن الدار الآخرة خير وأبقى في البناء العقلي علاقة واضحة جلية لصاحب العقل السليم، حيث عرف حقيقة كل منهما فوازن بينهما بعقله فاختار. عرف كيف يربي نفسه وفكره على هذه العقيدة، بعد أن تفكر وتدبر كثيراً في حال الدنيا الفانية فلم يغتر بها؛ لأن المغتر بها لا بد أن يندم، بالرغم من أن الآخرة غيب إلا أنه عرف حقيقتها فآثرها على الدنيا.

يقول سيد قطب –رحمه الله–: "والآخرة غيب. فالإيمان بها سعة في التصور وارتقاء في العقل، والعمل لها خير للمتقين يعرفه الذين يعقلون..."[1].

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (1073/7).

الفصل الثاني

أصحاب العقول بين الإعمال والتعطيل في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصحاب العقول وأصنافهم في القرآن.

المبحث الثاني: بيان القرآن لأناس أعملوا عقولهم.

المبحث الثالث: بيان القرآن لأناس عطلوا عقولهم.

المبحث الأول
أصحاب العقول وأصنافهم في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أولو الألباب والنُّهى.

المطلب الثاني: من أوتي الحكم والحكمة.

المطلب الثالث: ذوو الحجر وأولو الأبصار.

المطلب الأول: أولو الألباب والنُّهى.

من أصحاب العقول الذين ذكرهم القرآن أولو الألباب والنُّهى.

أولاً: أولو الألباب:

1- المقصود بأولي الألباب:

"الألباب" أي العقول، وهي جمع "لب"، وهو ما يقابل القشر فكأن القرآن يشير إلى أن الإنسان قسمان: قشر ولب، فالجسم هو القشر، والعقل هو: اللب[1].

واللُّبُّ: هو العقل الخالص من الشوائب، وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه، كاللباب واللُّبُّ من الشيء وقيل هو ما زكى من العقل، فكل لُب عقلٌ وليس كل عقل لباً ولهذا علق الله ﷻ الأحكام التي لا يدركها إلا العقول الزكية بأولى الألباب نحو قوله تعالى: ﴿ **يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة:269]. [2]

وقد وردت كلمة (أولوا الألباب) أو (أولي الألباب) في القرآن ست عشرة مرة منها ما هو مكي ومنها ما هو مدني.

أمثلة على ذلك:

أ- قال تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة:179].

القصاص في ظاهره قتل نفس، فكيف يكون فيه حياة؟ هذا ما يفهمه أولو الألباب الذين خصهم الله بالذكر في هذه الآية، فالعقوبة فيها ردع للقتلة وشفاء لصدور أهل المقتول.

يقول الإمام البقاعي: "الألباب: العقول التي تنفع أصحابها بخلوصها مما هو كالقشر"[3].

ب- قال تعالى: ﴿ **قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة:100].

---

(1) العقل والعلم في القرآن الكريم، ص(21).

(2) مفردات ألفاظ القرآن، ص(733).

(3) نظم الدرر ، للبقاعي،(32/3).

كثير من الناس يهتمون بالكم والعدد، ولا يهتمون بالكيف والنوع، ولكنّ أولي الألباب هم الذين يعنيهم الكيف، ويهمهم الطيب وإن كان قليلاً؛ لهذا أمرهم الله ﷻ في هذه الآية بالتقوى لعلهم ينالوا الفلاح في الدنيا والآخرة[1].

ج- قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:269].

يقول ابن عاشور: "من شاء الله إيتاءه الحكمة هو ذو اللب، وأن تذكر الحكمة واستصحاب إرشادها بمقدار استحضار اللب وقوته، واللب في الأصل خلاصة الشيء وقلبه، وأطلق هنا على عقل الإنسان لأنه أنفع شيء فيه"[2].

د- قال تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:9].

أولو الألباب هم أصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة وهم الموصوفون بقوله ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ...﴾ [آل عمران:191] فما أحسن التعبير هنا باللب الذي هو خلاصة الشيء؛ لأن السياق للإخلاص[3].

2- صفات أولي الألباب:

وصف الله ﷻ أولي الألباب بصفات متعددة، منها:

أ- يذكرون الله في جميع أحوالهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ويقرون أن الله لم يخلقها عبثاً.

ب- يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق.

ج- يصلون ما أمر الله به أن يوصل.

د- يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب.

ه- يصبرون على ما أصابهم ابتغاء وجه الله.

و- يقيمون الصلاة.

---

(1) انظر: العقل والعلم في القرآن الكريم، ص(23).
(2) التحرير والتنوير ، لابن عاشور، مج 3 (196/4).
(3) انظر: نظم الدرر ، للبقاعي، (428/6).

ز- ينفقون مما رزقهم الله سراً وعلانية.

ح- يدرؤون بالحسنة السيئة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:191].

وقال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۝ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ ۝ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:19-22].

وقال السعدي : "﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لُبُّ العالم، وصفوة بني آدم، فإن سألت عن وصفهم، فلا تجد أحسن من وصف الله لهم بقوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ﴾ الذي عهده إليهم، والذي عاهدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة، فالوفاء بها، توفيتها حقها، من التتمية لها، والنصح فيها، وتمام الوفاء بها، أنهم ﴿ لاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ أي: العهد الذي عاهدوا الله عليه، فدخل في ذلك، جميع المواثيق والعهود، والأيمان والنذور، التي يعقدها العباد فلا يكون العبد من أولي الألباب، الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها..."(1).

3- جزاء أولي الألباب:

أ- استجابة دعائهم وعدم ضياع عملهم:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[آل عمران:195].

(1) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(395).

يقول ابن كثير : "ومعنى الآية أن المؤمنين ذوي الألباب لما سألوا مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عَقَبَ ذلك بفاء التعقيب كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:186]. وقوله ﴿أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ هذا تفسير للإجابة، أي قال لهم مجيباً: إنه لا يضيع عمل عامل لديه، بل يوفي كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى وقوله: ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ أي جميعكم في ثوابي سواء..."(1).

ب- دخولهم جنات عدن ورفع أهليهم إلى درجتهم:

قال تعالى: ﴿...أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:22-24].

يقول السعدي : "أولئك الذين وصفت صفاتهم الجليلة، ومناقبهم الجميلة لهم ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ فسرها بقوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة، لا يزولون منها، ولا يبغون عنها حولا؛ لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم والسرور الذي تنتهي إليه المطالب والغايات، ومن تمام نعيمهم وقرة أعينهم أنهم ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ من الذكور والإناث وكذلك النظراء والأشباه، والأصحاب والأحباب، فإنهم من قبيل أزواجهم وذرياتهم ﴿وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ يهنئونهم بالسلامة وكرامة الله لهم ويقولون ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم﴾..."(2).

مما سبق نلاحظ أن أولي الألباب هم أصحاب عقول صافية وقلوب نيرة تقية أخلصوا عملهم لله ﷻ ، وكانت هذه العقول خالصة من كل شائبة، كيف لا وهم الموصوفون بالألباب وهم صفوة بني آدم ولب العالم وأصله السوي الذين عرفوا شرع الله فاتبعوه أحسن اتباع وأخذوا بمعاني الأمور وأحسنها وتركوا سفاسفها فكان جزاؤهم فضلاً وكرامة من عند الله وجزاءً على أعمالهم.

---

(1) تفسير ابن كثير ، (431/1).

(2) تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي، ص(395).

ثانياً: أولو النّهى.

وجاء في القرآن الكريم من أصحاب العقول "أولي النُّهى".

1- معنى النُّهى:

النُّهية: العقل الناهي عن القبائح وجمعها نُهى، وسمى أصحاب العقول بأولي النُّهى؛ وذلك لانتهاء الذكاء والمعرفة والنظر إليه، ونهاية ما يمنح العبد من الخير المؤدي إلى صلاح الدنيا والآخرة[(1)].

يقول ابن عاشور : "سمي نُهية لأنه سبب انتهاء المتحلي به عن كثير من الأعمال المفسدة والمهلكة"[(2)].

2- أولو النُّهَى في القرآن الكريم:

ورد لفظ (أولو النّهى) في القرآن مرتين، كلتاهما في سورة "طه".

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ۞ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ [طه:53-54].

هنا من تمام كلام موسى عليه السلام فيما وصف به ربه عز وجل حين سأله فرعون عنه فقال: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:50] ثم أخبر موسى عليه السلام بأن الله هو الذي جعل الأرض مهداً وسلك للناس فيها الطرق وأنزل من السماء ماء فأخرج به أنواع النباتات من زروع وثمار ومن حامض وحلو ومر وسائر الأنواع، ولإطعام الناس وفاكهتهم ولإطعام أنعامهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ أي لذوي العقول السليمة المستقيمة على أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه[(3)].

يقول السعدي : "وخص الله أولى النُّهى بذلك؛ لأنهم المنتفعون بها، الناظرون إليها نظر اعتبار. وأما من عداهم، فإنهم بمنزلة البهائم السارحة، والأنعام السائمة، لا ينظرون

(1) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص(827)، الكليات، ص(620).
(2) التحرير والتنوير ، لابن عاشور، (240/8).
(3) انظر تفسير ابن كثير، (161/3).

إليها نظر اعتبار ولا تنفذ بصائرهم إلى المقصود منها، بل حظهم حظ البهائم، يأكلون ويشربون وقلوبهم لاهية وأجسادهم مُعرِضة"[1].

الثانية: في مقام الحديث عن القرون الخالية، وما نزل بهم من عقاب الله ليعتبر اللاحقون بما أصاب السابقين من دمار وهلاك، وأولو النُّهَى هم أكثر الناس عبرة وعظة بالسابقين فهم أفضل من نهى عما لا يليق فضلاً عن ارتكابهم لما هو أعظم من ذلك فيحل بهم ما حل بالسابقين.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ [طه:128].

يقول البقاعي : لأولي النُّهى "أي العقول التي من شأنها النهي عما لا ينفع فضلاً عما يضر، فإنها تدل بتواليها على قدرة الفاعل وبتخصيص الكافر بالهلاك والمؤمن بالنجاة على تمام العلم، مع عموم القدرة، وعلى أنه –تعالى– لا يقر على الفساد، وإلى غير ذلك ممن له وازع من عقله"[2].

ويقول الألوسي : "أي لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من أقبحها ما يتعاطاه هؤلاء، المنكر عليهم، من الكفر بآيات الله –تعالى– والتعامي عنها، وغير ذلك من فنون المعاصي"[3].

من خلال ما سبق من آيات، يتضح أن (أولي النُّهَى) هم أصحاب عقول سليمة عرفت الحق فاتبعته، ونهت أصحابها عن القبائح والآثام، وعما لا ينفعها، أو ما يضرها، هؤلاء الذين شكروا الله على نعمه بأن أفردوه بالعبادة وأنه لا رب سواه، اعتبروا بهلاك الأمم السابقة لهم فما وقعوا فيما وقع فيه السابقون فأنجاهم الله.

(1) تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي، ص(484).
(2) نظم الدرر ، للبقاعي، (56/5).
(3) روح المعاني ، للألوسي، مج9 (409/16).

المطلب الثاني: الذين أوتوا الحكم والحكمة

أولاً: الحكم لغةً واصطلاحاً:

1- الحكم لغة[1]:

(أ) العلم والفقه.

(ب) العلم والفقه والقضاء بالعدل.

2- الحكم اصطلاحاً:

الحكم أصله المنع للإصلاح،والحكم بالشيء أن يقضي بأنه كذا أو ليس بكذا[2].

ثانياً: معنى الحكمة لغةً واصطلاحاً:

(أ) **الحكمة لغة:** عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.[3]

(ب) **الحكمة اصطلاحاً:**

1- يقول ابن جرير الطبري: "ثم اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة، فقال بعضهم هي السنة، وقال بعضهم: الحكمة هي المعرفة بالدين والفقه فيه، قال: والحكمة شيء يجعله الله في القلب ينور له به"[4]. والحكمة الإصابة في القول والفعل[5].

2- يقول ابن القيم: "الحكمة في كتاب الله نوعان: مفردة ومقترنة بالكتاب، فالمفرد: فسرت بالنبوة وفسرت بعلم القرآن، وأما الحكمة المقرونة بالكتاب فهي السنة"[6].

3- يقول السعدي: "الحكمة هي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال"[7].

4- يقول ابن عاشور: "والحكمة إتقان الفعل وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم"[8].

---

(1) انظر: لسان العرب، (141/12).

(2) انظر : مفردات ألفاظ القرآن، ص (248).

(3) لسان العرب، (140/12)

(4) جامع البيان، للطبري، (708/1).

(5) انظر: المرجع السابق، (113/3).

(6) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، ص (187/2).

(7) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(107).

(8) التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج3 (61/4)

هذه هي خلاصة لأهم أقوال المفسرين في تفسير معنى الحكمة في كتاب الله، ونستطيع أن نقول إن المفسرين فسروا الحكمة بتفسيرين، الأول: النبوة، والثاني: العلم والإتقان والتوفيق ووضع الشيء في موضعه وكلها معان متقاربة، ولعل أشملها هو الإصابة في القول والفعل؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم وعلم ومعرفة، وإذا فهم المرء خشع وأصاب، والنبوة من أقسامه؛ لأن الأنبياء موفقون للإصابة بالقول والفعل بتوفيق من الله.

ثالثاً: العلاقة بين الحكم والحكمة:

من العلماء من جعل الحكم مرادفاً للحكمة في تعريفهم لهما، بينما نجد أقوالاً أخرى تفرّق بين الحكم والحكمة، ومن هذا وذاك، ما يلي:

1- الحكم والحكمة بمعنى واحد:

أ- الحكمة في القرآن على أوجه، منها: الحكمة بمعنى الفهم والعلم، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ...**﴾ [لقمان:12]، وقال تعالى: ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ [مريم:12] والحكم هنا بمعنى الفهم والعلم، فهنا لم يفرق بين الحكم والحكمة، بل كل منهما فسر بأنه الفهم والعلم(1).

ب- قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ [يوسف:22] فإنها بمعنى حكمة(2).

ج- يذكر ابن عاشور بأن الحكم اسم للحكمة(3).

د- وقد يعبر القرآن عن (الحكمة) بالحكم، فكلمة الحكم: تعني الفصل والقضاء، كما تعني الحكمة(4).

2- الحكم أعم من الحكمة:

بينما نجد الراغب الأصفهاني يفرق بين الحكم والحكمة، فيقول: "والحكم أعم من الحكمة فكل حكمةٍ حكم وليس كل حكم حكمة، فإن الحكم أن يقضي بشيء على شيء فيقول هو كذا أو ليس بكذا"(5).

---

(1) انظر: الوجوه والنظائر، ص (174).
(2) انظر: معجم ألفاظ القرآن، (292/1).
(3) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج6 (202/12).
(4) العقل والعلم، ص (203).
(5) مفردات ألفاظ القرآن، ص (249).

وترى الباحثة أن تفريق الراغب الأصفهاني بين الحكم والحكمة قد يكون مصيباً ومحقاً، فالحكمة الإصابة في القول والفعل ثم الحكم بالقضاء على الشيء بعد أن يكون هذا الحاكم قد اتصف بالحكمة وهي الإصابة في القول والفعل، ثم يصدر الحاكم حكمه بعد ذلك.

رابعاً: الذي أوتي الحُكْم:

تحدث القرآن الكريم عن عدد من الرسل بأن الله آتاهم (حكماً وعلماً)؛ حيث قال ذلك عن داود وسليمان وموسى ولوط ويوسف ويحيى -عليهم السلام-.

ومن الآيات التي ذكرت ذلك:

1- قال تعالى: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء:79].

سياق الآيات الكريمة تتحدث عن داود وسليمان – عليهما السلام – حيث آتاهما الله العلم الواسع والحكم بين العباد وكيف حكما لصاحب الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم الأخرى، حيث رعت الغنم فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرعه، فقضى فيه داود عليه السلام، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث، وحكم سليمان عليه السلام بأن أصحاب الغنم يدفعون عنهم إلى صاحب الحرث فينتفع بوبرها وصوفها ويقومون على بستان صاحب الحرث حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد ترادًا ورجع كل منهما بماله وهذا تفهيم الله عز وجل له حيث قال﴿ **ففهمناها سليمان**﴾ ولا يدل هذا على أن داود لم يفهمه الله في غيرها، ثم قال ﴿**وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ وهذا دليل على أن الحاكم قد يصيب الحق والصواب وقد يخطئ في ذلك، وليس ملوماً إن اجتهد في ذلك[1].

يظهر واضحاً من مفهوم الآية أن المقصود بقوله (حكماً) هو الفصل والقضاء بين الخصوم.

2- قال تعالى: ﴿**وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ**﴾ [الأنبياء:74].

يقول الطبري: "حكماً وهو فصل القضاء بين الخصوم"[2].

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (504).

(2) جامع البيان، للطبري، (57/10).

أما القرطبي فيقول: "الحكم النبوة"[1].

ويذكر الألوسي فيقول: "حكماً، أي حكمة، والمراد بها ما يجب فعله أو نبوة، فإن النبي حكم على أمته، أو الفصل بين الخصوم في القضاء"[2].

وهنا يظهر واضحاً خلاف العلماء في تفسيرهم للحكم، فمنهم من فسره بالنبوة ومنهم من فسره بالحكمة ومنهم من فسره بالفصل بين الخصوم، وهذا راجع إلى اختلاف في معنى الحكم والحكمة وهل الحكم هو الحكمة أم هناك خلاف بينهما.

3- قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:12].

يقول الطبري: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال[3].

يقول ابن كثير: "الحكم، أي الفهم والعلم والجد والعزم والإقبال على الخير والانكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث"[4].

يقول القرطبي: "الحكم قيلُ الأحكام والمعرفة بها"[5].

يقول الألوسي: "والظاهر أن الحكم على هذا بمعنى الحكمة، وقيل: هي بمعنى العقل، وقيل معرفة آداب الخدمة، وقيل الفراسة الصادقة، وقيل النبوة وعليه كثير"[6].

ويظهر أن المراد هنا من قوله ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ هي الحكمة؛ لأن أقوال العلماء وتفسيرهم للحكم بأنه الفهم والعلم والمعرفة، فهذا تفسير للحكمة.

خامساً: من أوتى الحكمة:

تحدث القرآن الكريم عن عدد من الرسل آتاه الله الحكمة ومنهم النبي محمد ﷺ، وعلمها الله لعيسى عليه السلام وآتاها داود عليه السلام ولقمان عليه السلام.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (252/11).
(2) روح المعاني، للألوسي، مج 10 (107/17).
(3) جامع البيان، للطبري، (62/9).
(4) تفسير ابن كثير، (118/3).
(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (75/11).
(6) روح المعاني، للألوسي، مج9 (105/16) .

1- قال تعالى: ﴿...وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:113].

بينت الآية أن الله ﷻ قد أنزل القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ الذي فيه تبيان كل شيء، وعلم الأولين والآخرين وأنزل الحكمة، حيث قال ﷺ: **(ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه...)** [1]، أما السنة فهي معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها، وترتيب كل شيء بحسبه[2].

ولعل المراد هنا من الحكمة ليس السنة، بل معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها، وهي هبة ونعمة من عند الله ﷻ يؤتيها من يشاء من عباده وأحق عباده بها النبي ﷺ، وإنزال الله لها المقصود به هو أن الله ألهمه و منَّ عليه بها.

2- قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:48].

هذه الآيات في سياق الحديث عن عيسى عليه السلام وبشارة الملائكة بميلاده وأنه من المقربين، وما يكون من تكليمه الناس وهو في المهد ومعجزة خلقه بلا أب ثم تعليم الله ﷻ له الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.

يقول الألوسي: "الكتاب والحكمة أي: الفقه وعلم الحلال والحرام، وقيل: جميع ما علمه من أمور الدين، وقيل: سنن الأنبياء عليهم السلام، وقيل: الصواب في القول والعمل، وقيل: إتقان العلوم العقلية"[3].

3- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:12].

---

(1) أخرجه احمد بن حنبل في مسنده، مسند الشاميين، حديث المقداد بن معدى كَرِب أبي كريمة عن النبي ﷺ، ص(1219) ح (17174)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(2)انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(180).

(3) روح المعاني، للألوسي ، مج 3 (265/3).

الآية تتحدث عن لقمان، أن الله ﷻ قد أعطاه الحكمة، وقد اختلف السلف هـل كـان لقمان نبياً أم عبداً صالحاً من غير نبوة؟ ويرجح ابن كثير والقرطبي أنه كـان عبـداً صالحاً ورجلاً حكيماً من غير نبوة.

يقول ابن كثير : "اختلفت السلف في لقمان هل كان نبياً أو عبداً صـالحاً مـن غيـر نبوة؟ على قولين الأكثرون على الثاني"(1).

ويقول القرطبي : "والصواب أنه كان رجلاً حكيمـاً بِحِكْمَـةِ الله – تعـالى– وهـي الصواب في المعتقدات والفقه في الدين والعقل"(2).

أخبر –سبحانه– بامتنانه على عبده الصالح لقمان بالحكمة وأمـره بـشكرها حتى يزيده من فضله، فإن شكر الشاكر يعود فضله ونفعه على صاحبه، ومـن كفـر فلم يشكر عاد وبال ذلك عليه والله غني عن عباده حميد في صفاته.

سادساً: من أوتى الحكم والحكمة:

ذكرت فيما سبق أن القرآن الكريم قد تحدث عن عدد من الرسل منهم مـن آتـاه الله الحكم ومنهم من آتاه الحكمة، وأن هناك فرقاً بين الحكم والحكمة، ومن خلال ما سبق نلاحظ أن الحكم والحكمة في القرآن لم يجتمعا لأحد من الأنبياء إلا للنبي محمد ﷺ وداود عليه السلام حيث قال تعالى في حق النبي محمد ﷺ ﴿... وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:113] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:105] وفي حـق داود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۞ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:78–79]،وقال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۞ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ۞ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص17–20].

---

(1) تفسير ابن كثير (448/3).

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (50/14).

المطلب الثالث: ذوو الحجر وأولو الأبصار:

جاء في القرآن الكريم كذلك أن من أصحاب العقول ذوي الحجر وأولي الأبصار.

أولاً: ذوو الحجر:

1- معنى حجر:

الحِجرْ: العقل لأنه يحجر صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغي، حيث يتصور من الحجر معنى المنع[1].

يقول ابن كثير – رحمه الله – "سمي العقل حجراً؛ لأنه يمنع صاحبه من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال"[2].

2- الحجر في القرآن الكريم:

جاءت في القرآن الكريم كلمة الحجر بمعنى العقل، وهو موضع وحيد في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر:5][3].

يقول ابن جرير الطبري – رحمه الله – "قوله (لذي حجر) فإنه لذي حِجَى، يقال للرجل إذا كان مالكاً قاهراً لها ضابطاً: إنه لذو حجر، ومنه قولهم حَجَرَ الحاكم على فلان"[4].

ويقول سيد طنطاوي:

"والمراد بالحجر العقل، والمعنى: هل في ذلك الذي أقسمنا به من الفجر، والليالي العشر، والشفع والوتر قسم، أي مقسم به، حقيق أن تؤكد به الأخبار عند كل ذي عقل سليم، ولا شك به أن كل ذي عقل سليم يعلم تمام العلم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء حقيق أن يقسم به، لكونها أي هذه الأشياء أموراً جليلة، خليقة بالإقسام بها لفخامة شأنها، كما أن كل ذي عقل سليم يعلم – أيضاً – أن المقسم بهذا القسم وهو الله ﷻ صادق فيما أقسم"[5].

---

(1) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص (220)، روح المعاني، للألوسي، مج 16 (219/30)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج 15 (316/30).

(2) تفسير ابن كثير، (508/4)

(3) انظر: الوجوه والنظائر ، ص (180).

(4) جامع البيان، للطبري، (190/15).

(5) الوسيط، للسيد طنطاوي، (542/15).

خلاصة مفهوم الحجر، وسبب تسمية العقل حجراً ، ذلك لأنه يمنع ويحجر صاحبه عن ارتكاب المناهي أو ما لا يليق بصاحبه من أفعال وأقوال.

ثانياً: أولو الأبصار:

جاء لفظ (أولي الأبصار) في القرآن الكريم في أربعة مواضع، وقد عدهم القرآن من أصحاب العقول الذين نظروا في دلالات الأشياء على لوازمها وعواقبها وأسبابها، فكانت نظرتهم نظرة فكر واعتبار وموعظة.

1- المقصود بالأبصار:

يذكر ابن القيم أن بصائر الناس في هذا النور –ويقصد به نور الإسلام- تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أحدها أعمى بصيرة الإيمان جملة، فهو لا يرى إلا الظلمات والرعد والبرق ولا يجاوز نظره ما وراء ذلك من الرحمة وأسباب الحياة الأبدية، والقسم الثاني: أصحاب البصيرة الضعيفة الخفاشية الذين نسبة إبصارهم إلى هذا النور كنسبة إبصار الخفاش إلى جرم الشمس، فهم تبع لآبائهم وأسلافهم، والقسم الثالث: هم خلاصة الوجود ولباب بني آدم، هم أولو البصائر النافذة الذين شهدت بصائرهم هذا النور المبين فكانوا منه على بصيرة ويقين مشاهدة لحسنه وكماله، بحيث لو عرض على عقولهم ضده لرأوه كالليل البهيم الأسود، وقد ذكر السابقين فقال: إنما كانوا يعملون على البصائر وما أوتي أحد أفضل من بصيرة في دين الله ولو قصر في العمل[(1)].

ويقول ابن عاشور: "الأبصار جمع بصر بالمعنى المجازي، وهو النظر الفكري المعروف بالبصيرة، أي التبصر في مراعاة أحكام الله –تعالى- وتوخي مرضاته"[(2)].

2- الأبصار في القرآن الكريم:

جاء لفظ الأبصار في أربعة مواضع في كتاب الله، ثلاثة مواضع بلفظ (أولي الأبصار) والموضع الرابع (أولي الأيدي والأبصار).

أ- **الموضع الأول:** قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾ [آل عمران:13].

---

(1) انظر: مفتاح دار السعادة، ص (341).

(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج 11 (276/23).

هذه الآية من الآيات الدالة على صدق الرسول محمد ﷺ وأنه على الحق وأعداءه على الباطل، فما وقع في بدر لأكبر دليل على ذلك، حيث التقت الفئتان، فئة المؤمنين لا يتجاوزون إلا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً مع قلة عددهم، وفئة الكافرين يناهزون الألف، مع استعدادهم التام في السلاح، ولكن أيد الله المؤمنين بنصره فهزموهم بإذن الله، ففي هذا عبرة لأهل البصائر.

يقول ابن كثير – رحمه الله – "أي إن في ذلك لمعتبراً لمن له بصيرة وفهم يهتدي به إلى حكمة الله وأفعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"(1).

ب- **الموضع الثاني:** قال تعالى: ﴿**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ**﴾ [النور:44].

الله ﷻ يخبر عن تقليبه للَّيل والنهار من حر إلى برد ومن برد إلى حر، ومن ليل إلى نهار، ومن نهار إلى ليل، وفي هذا عبرة لأولي الأبصار، أي لذوي البصائر والعقول النافذة للمطلوب منها، كما تنفذ الأبصار إلى المشاهد المحسوسة فالبصير ينظر إلى هذه الآية، من تقلب الليل والنهار، نظر اعتبار وتفكر وتدبر لما أريد بها ومنها، أما المعرض الجاهل فينظر إليها نظر غفلة كالبهائم لا تفكر فيما تبصر(2).

ج- الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ**﴾ [ص:45].

الحديث هنا عن إبراهيم عليه السلام وابنه إسحاق وعطف على ابنه يعقوب بأنهم أولو الأيدي والأبصار، أي القوة في إقامة الدين والبصيرة في حقائق الأمور، وصفهم الله ﷻ بهذه الصفات، وابتدئ بإبراهيم عليه السلام لتفضيله بمقام الرسالة والشريعة، وعُرف عنه بصبره على أذى قومه، وإلقائه في النار، وابتلائه بتكليف ذبح ابنه، ثم ذكر اسحاق ويعقوب – عليهما السلام – لأنهما اشتركا معه في الفضائل وسبب ذكرهم والحديث عنهم ليقتدي بهم النبي ﷺ في القوة وإقامة الدين والبصيرة في حقائق الأمور(3).

---

(1) تفسير ابن كثير، (344/1).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (546).

(3) انظر: التحرير والتنوير ، لابن عاشور، مج11 (276/23).

د- **الموضع الرابع:** قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [الحشر:2].

الآية تتحدث عن بني النضير وكيف أجلاهم النبي ﷺ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار.

يقول ابن عاشور: "نودي أولو الأبصار بهذه الصلة، ليشير إلى أن العبرة بحال بني النضير واضحة مكشوفة لكل ذي بصر ممن شاهد ذلك ولكل ذي بصر يرى مواقع ديارهم بعدهم، فتكون له عبرة"(1).

أما السعدي فيقول: "﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ أي البصائر النافذة، والعقول الكاملة فإن في هذا معتبراً يعرف به صنع الله -تعالى- في المعاندين للحق، المتبعين لأهوائهم، الذين لم تدفعهم عزتهم ولا منعتهم قوتهم، ولا حصنتهم حصونهم، حين جاءهم أمر الله"(2).

وتخلص الباحثة إلى ما يلي:

1- أولو الأبصار هم أصحاب العقول الكاملة والبصائر النافذة، التي نظرت فيما حولها نظرة فكر واعتبار، فازداد عقلها وتنورت بصيرتها، فازداد إيمانها، فحصل لها الفهم الحقيقي.

2- اتصاف أنبياء الله بأنهم من أولي الأبصار ثم دعوة النبي ﷺ ليكون منهم لهو من أعظم الأدلة على كمال عقول وبصيرة هؤلاء.

3- التعبير بالأبصار هو أعظم توبيخ لمن رزقه الله قوة وعقلاً، ثم لا يصرفه في عبادة الله والمجاهدة فيه ﷻ وأن من كان كذلك كان كأنه فاقد الأيدي والأبصار.

4- طلب الله ﷻ من أولي الأبصار الاعتبار، يدل على أن المطلوب من الإنسان أن يبصر بعينه وقلبه وعقله معاً.

---

(1) التحرير والتنوير،لابن عاشور، مج 13 (72/28).

(2) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(810).

5- بعد الرجوع إلى معاني هذه المرادفات للعقل أو المسميات، وهي أولو الألباب والنهى، ومن أوتي الحكم والحكمة وأولو الأبصار وذوو الحجر، نجد أن خطاب القرآن هنا كان لأناس من العقلاء لهم نصيب من الفهم والوعي والإدراك أوفر من نصيب العقل الذي يكف صاحبه عن السوء ولا يرتقي إلى الرسوخ في العلم، والتمييز بين الطيب والخبيث، وبين الحسن والأحسن في العقول.

المبحث الثاني

بيان القرآن لأناس أعملوا عقولهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج لمن أعملوا عقولهم.

المطلب الثاني: ثمرات إعمال العقل.

المطلب الأول: نماذج لمن أعملوا عقولهم.

لقد ذكر القرآن أفراداً دل عملهم أنهم أعملوا عقولهم، حيث فكروا في هذا العمل كثيراً وقارنوا ووازنوا بين الدنيا والآخرة والثواب والعقاب والإله الحق ومن سواه، فهداهم عقلهم إلى الحق والخير العظيم، حيث شكروا هذه النعمة بإعمالها وعدم تعطيلها، ومن هذه النماذج:

الأول: بلقيس ملكة سبأ:

ذكر المولى ﷻ ما ذكره الهدهد عن ملكة سبأ وقومها فقال لسيدنا سليمان:

قال تعالى: ﴿... فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۞ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ...﴾ [النمل:22-44].

تتحدث الآيات عن امرأة تملك قبيلة سبأ، وقد آتاها الله كل ما يؤتى الملوك، من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع، ومن عظمة هذه الملكة وقوة سلطانها كان لها عرش عظيم هائل، وقد كثر رجال الشورى عندها، وقد كانت وقومها مشركين يعبدون الشمس، ثم تتحدث القصة عن علم سليمان ﷺ وعن خبرها من الهدهد، وما سيكون من إرسال الكتاب لها، وما يكون ردها، ثم إسلامها مع سليمان لله رب العالمين[1].

واختيار ملكة سبأ كنموذج لمن أعمل عقله إنما يعود لسبب ذكائها وحسن تدبيرها وتفكيرها كثيراً في كل ما تفعل، وذلك من خلال:

1- من حزمها وعقلها أنها جمعت كبار دولتها ورجال مملكتها وقالت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي...﴾ [النمل:32].

يقول البقاعي: "ثم عللت أمرها لهم بذلك بأن شأنها دائماً مشاورتهم في كل جليل وحقير، فكيف بهذا الأمر الخطير، وفي ذلك استعطافهم بتعظيمهم وإجلالهم وتكريمهم، فقالت: (ما كنت) أي كوناً ما (قاطعة أمراً) أي فاعلته وفاصلته غير مترددة فيه (حتى تشهدون) وقد دل على غزارة عقلها وحسن أدائها، ولذلك جنت ثمرة أمثال ذلك طاعتهم في المنشط والمكره"[2].

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (579).

(2) نظم الدرر، للبقاعي، (432/5).

2- يدل على عقلها طبيعة رد القوم عليها عندما قالوا (الأمر إليك) أي الرأي ما رأيت، لعلمهم بعقلها وحزمها، ونصحها لهم (فانظري) نظر فكر وتدبر (ماذا تأمرين).

3- إرسال هدية لسليمان عليه السلام تختبره بها هل يبقى على رأيه وقوله؟ أم تخدعه الهدية، وهذا يدل على حسن تدبيرها وتفكيرها قبل أن ترد على ما طلب منها عندما قالت (فناظرة بم يرجع المرسلون).

4- الرد الذي ردت به على من سألها (أهكذا عرشك) فأجابت (كأنه هو)، فهذا يدل على ذكائها وفطنتها؛ فلم تقل هو لوجود التغيير فيه والتنكير، ولم تنف أنه هو؛ لأنها عرفته فجاءت بلفظ محتمل للأمرين صادق على الحالين، وهذا إن دل فإنما يدل على ثبات وعقل ولب ودهاء وحزم اتصفت به ملكة سبأ.

الثاني: صاحب يس:

قال تعالى: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ ۝ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۝ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ۝ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاء وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس:20-29]

الآيات تتحدث عن رجل جاء من أقصى المدينة؛ لنصرة الرسل عندما همّ أهل القرية بقتلهم، وهذا الرجل يقال إنه حبيب ويعمل الحرير وكان رجلاً سقيماً، وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه، مستقيم الفطرة فأمر قومه بأن يتبعوا المرسلين، وبين لهم الحق من الباطل في اتباعهم وما كان منه من الإيمان بالله ودخول الجنة أن يعلم قومه بمغفرة الله له ودخوله الجنة[1].

وهذا الرجل الذي جاء من أقصى المدينة قد أعمل عقله فهداه فكره إلى الإيمان بالله عز وجل فكان جزاؤه الجنة ومغفرة من الله، ويظهر إعمال عقله من خلال ما يلي:

(1) انظر: تفسير ابن كثير، (573/3).

1- دعوته لقومه باتباع من لا يسألهم أجراً؛ لأنه علم أن من لا يسأل على عمله أجراً إنما أراد الثواب من الله، إذن فهو مرسل صادق من عند الله.

2- اعترافه وإقراره بالعبادة للذي خلقه؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا الذي خلقه وإليه المرجع.

3- علمه بأن النفع والضرَّ قضاء الله وقدره ولن ينفعه أي شفاعة ولا ينقذه من قضاء الله أحد.

هذا الرجل قدم لنفسه مقدمات من صدق المرسلين، ثم إن المستحق للعبادة هو الخالق له وأن النفع والضر بيده، ولا يكون إلا ما قدره الله ﷻ فكان نتيجة العقل السليم الذي أكرمه الله به أن أعطاه نتيجة صحيحة سليمة لا تقبل التغيير ولا التبديل، وهي الإيمان برب المرسلين وهو الله ﷻ فأثابه الله بالجنة.

الثالث: السحرة في زمن موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۞ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۞ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۞ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى**﴾ [طه:70-76]

هذه الآيات في سياق حوار موسى عليه السلام مع السحرة حين توافقوا هم وموسى أنهم قالوا له: ﴿**إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى**﴾ [طه:65] وتأتي إجابة موسى ﴿**قَالَ بَلْ أَلْقُوا**﴾ [طه:66] وما يكون من سحر فخيل للناس أنها تسعى فخاف موسى عليه السلام أن يفتن الناس بسحرهم ويغتروا، فأمره الله ﷻ أن يلقى ما في يمينه، يعني عصاه، فإذا هي تلقف ما صنعوا حتى لم تبق منه شيئاً إلا تلقفته وابتلعته، والسحرة والناس ينظرون، فقامت المعجزة

واتضح البرهان ووقع الحق، ولعلم السحرة بفنون السحر وطرقه علموا علم اليقــين أن هــذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حق لا مرية فيه، ولا يقدر عليه إلا مــن يقول للشيء كن فيكون، فعند ذلك وقعوا سجداً لله وآمنوا برب العالمين(1).

السحرة رزقهم الله ﷻ ووهبهم العقل، لذلك عرفوا الحق وأدركوا الحقيقة واستخدموا هذه النعمة، نعمة العقل، بالتفكير الصحيح والمقارنات والإجابات التي ردوا بها علــى فرعــون، وتفصيل ذلك:

1- أجابوا بقولهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ [طه:72].

علموا علم اليقين أن الله هو الرب المعبود وحده، وأن ما سواه باطل، فلــن يــؤثروا فرعون على الذي فطرهم وخلقهم، فهذا لا يكون إلا من صاحب عقل سليم.

2- أجابوا بقولهم: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه:72].

هؤلاء السحرة من العقلاء؛ لأنهم وازنوا بين لذات الدنيا ولذات الآخرة، وبين عــذاب الدنيا وعذاب الآخرة فعلموا أن ما يقضيه فرعون غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا ينقضي ويزول ولا يضر، بخلاف عذاب الله لمن استمر على كفره، فإنه دائم عظــيم، وما قاله السحرة هنا ينبغي لكل عاقل أن يجيب به.

3- قالوا: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:73].

وازنوا وقارنوا بين الإيمان الذي يكفر السيئات والتوبة التي تجب ما قبلها، وبين الكفر الذي سيجعل مصيرهم النار، فاختاروا الإيمان والتوبة وقالوا ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي مما وعدهم من الأجر والمنزلة والجاه، وأبقى ثواباً وإحساناً مما وعدهم به فرعون عندما سألوه ﴿...أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ﴾ [الشعراء:41] فأجابهم ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء:42] .

(1) انظر: تفسير ابن كثير (164/3).

المطلب الثاني: ثمرات إعمال العقل.

أولاً: معرفة الله حق المعرفة والإقرار بتفرده:

إن أول واجب عقلي على الإنسان هو معرفة الله؛ لأن في ذلك نقطة بداية الانطلاق نحو النمو والتقدم والتطور في المجالين الروحي والمادي؛ ولأن قوة علاقة الإنسان ببني نوعه صدقاً وأمانة وإخلاصاً تقاس بمدى قوة ارتباطه بربه.

1- أنواع المعرفة:

يقول ابن القيم: "معرفة الله ﷻ نوعان: إقرار، وهي التي اشترك فيها البر والفاجر والمطيع والعاصي، والثاني: محبة توجب الحياء منه و المحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه"(1).

2- أبواب المعرفة:

تتحقق معرفة الله ﷻ بمعرفة أبواب المعرفة والدخول فيها، يقول ابن القيم – رحمه الله –: "ولهذه المعرفة بابان واسعان، الباب الأول: باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله، والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه، وجماع ذلك الفقه في معاني أسمائه وجلالها وكمالها، وتفردها بذلك وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيهاً في أوامره ونواهيه، فقيهاً في قضائه وقدره وفقيهاً في أسمائه وصفاته، فقيهاً في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(2).

إن أكبر معين للإيمان هو التفكر والتدبر للكون واستخدام التجربة والعمل، فنجد كثيراً من العلماء المهتمين بالكون نتيجة للدراسة والتأمل والتجربة يهتدون إلى كثير من صفات الله ﷻ وكلما أنعم الإنسان النظر وأطال التأمل وخاض التجارب العلمية في مواد الطبيعة، وفي القوانين التي بني عليها نظام الكون، كلما ازداد إيماناً ويقيناً بالله – تبارك وتعالى – وبالمنهج الذي اختاره للبشرية كلها نظاماً للحياة.

---

(1) الفوائد، لمحمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ابن قيم الجوزية)، ص(209).

(2) المرجع السابق، ص(209).

وهذا إسحاق نيوتن صاحب نظرية الجاذبية وغيرها من النظريات يقول بعد تأمل طويل: "إن خالق هذا الكون على علم تام بعلم الميكانيكا"، ولو أمعن النظر وأكثر التدقيق والبحث العلمي هو وغيره من العلماء لقالوا: إن خالق هذا الكون على علم تام بكل شيء[1].

وهذا مما لا شك فيه أن من تفكر وتأمل وتدبر في هذا الكون وانتظامه علم وتيقن أن لهذا الكون خالقاً مدبراً متفرداً بالألوهية، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:50].

وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:22].

ثانياً: الخلافة في الأرض وحمل الأمانة:

إن من ثمرات العقل خلافة الإنسان في الأرض وحمله للأمانة، فهي مهمته منذ خلقه، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة:30].

فقد زوده الله ﷻ بالعقل وجعله أساساً للتكليف بالخلافة لما ركب فيه من قدرة على إدراك الحق وتحمل الأمانة، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي حمل أمانة التكليف في حين أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:72].

1- المقصود بالخلافة:

يقول ابن كثير – رحمه الله – في تفسير ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ...﴾ [الأنعام:165] "أي جعلكم تعمرونها جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن وخلفاً بعد سلف"[2].

والخلافة تعني تنفيذ مراد الله في الأرض وإجراء أحكامه فيها، فيكون سلطاناً في الكون بغاية تطبيق المهمة التي كلفه بها الله ﷻ ائتماراً بما أمر وانتهاء عما نهى[3].

---

(1) انظر: التربية العقلية، لعلي عبدالحليم محمود، ص (201).

(2) تفسير ابن كثير، (202/2).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (168/1)، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، لعبدالمجيد النجار، ص(61).

2- المقصود بالأمانة:

الأمانة هي التكاليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بـذلك أثيـب وإن تركها عوقب فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله(1).

3- تحقيق الخلافة وحمل الأمانة:

لتحقيق معنى الخلافة وحمل الأمانة، كما أمر الله ﷻ فعليه أن يحصر همه وجهده في الاقتراب من الله ﷻ وذلك بالعمل الدائب والكدح المستديم لترقية ذاته حتى يبلغ من الاكتمـال الدرجة التي ذكرها الله في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق:6]، وتكامل الإنسان واقترابه من الله لا يكون إلا بالعبادة، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56](2)، والمسلم مدعو حتى يحقق الخلافة إلى تسخير الكون والكائنات لما فيه النفع: نفعه ونفع الكون والكائنات من حولـه، ومـدعو إلـى العمل والسير في دروب الكون ومناكبه، ومدعو إلى العلم بأسراره وتسخير هذا العلم لما فيه الخير، والعقل المسلم من منطلق الخلافة هو صاحب الشأن والكلمة فـي الكـون ومطالـب بالإبداع وبالعلم والإعمار والتسخير يحقق الإنسان مهمته في هذه الأرض(3).

الخلاصة: إن خلافة الإنسان في الأرض وحمله للأمانة، متعلق على العقل الإنساني في تنزله على الأرض، حيث لولا العقل الذي هو مناط التكليف، لما كـان اسـتخلاف للإنـسان فـي الأرض وحمله للأمانة، ومن هنا يظهر مدى أهمية نعمة العقل على الإنسان، وكيـف فـضله الله به على غيره من المخلوقات، فعليه أن يشكر الله على هذه النعمة بإعمالها واستعمالها فـي مجالها الصحيح.

ثالثاً: التحلي بالأدب والأخلاق الحسنة:

1- تعريف الخلق:

هو صفة مستقرة في النفس، فطرية أو مكتسبة، لها آثار في السلوك، إما محمودة أو مذمومة، فالأخلاق منها ما هو محمود وقد دعا الإسلام إليها، ومنها ما هو مذموم،وقد نهى الإسلام عنها(4).

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، (527/3)، أضواء البيان، للشنقيطي، (605/6).

(2) انظر: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص (62).

(3) انظر: أزمة العقل المسلم، لعبدالحميد أحمد أبو سليمان، ص (130).

(4) انظر: الأخلاق الإسلامية لحبنكة الميداني، ص(10).

2- كيفية قياس الخُلق:

يقاس مستوى الخلق النفسي عن طريق آثاره في سلوك الإنسان، فالصفة الخلقية المستقرة في النفس إذا كانت محمودة كانت آثارها حميدة، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة، وعلى قدر قيمة الخلق في النفس يكون بحسب العادة آثاره في السلوك، إلا إذا وجدت معوقات أو صوارف صادرة عن ظهور آثار الخلق في السلوك[1].

إن من العقل وثمراته وعلاماته أن يتحلى المرء بالأدب والأخلاق الحسنة لا سيما مع الله ﷻ ومع رسوله الكريم ﷺ، ولقد ذم الله ﷻ من جَانَبَ الأدب مع رسوله بعدم العقل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات:4].

يقول ابن كثير – رحمه الله – : "إنه ﷻ ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات، وهي بيوت نسائه، كما يصنع أجلاف الأعراب فقال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ...﴾ [الحجرات:5] أي لكان في ذلك الخير والمصلحة في الدنيا والآخرة"[2].

ويقول البقاعي: "لا يعقلون لأنهم لم يصبروا، بل فعلوا معه ﷺ كما يفعل بعضهم مع من يماثله، والعقل يمنع من مثل ذلك لمن اتصف بالرئاسة فكيف إذا كانت رئاسة النبوة والرسالة عن الملك الجبار الواحد القهار"[3].

ويقول الألوسي: "والمراد أنهم لا يجرون على مقتضى العقل من مراعاة الأدب لا سيما مع أجلّ خلق الله تعالى وأعظمهم عنده"[4].

ويقول ابن عاشور: "ونفي العقل عنهم مراد به عقل التأدب الواجب في معاملة النبي ﷺ، أو عقل التأدب المفعول عنه في عادتهم التي اعتادوها في الجاهلية من الجفاء والغلظة والعنجهية"[5].

---

(1) انظر: الأخلاق الاسلامية، ص(10).
(2) تفسير ابن كثير، (206/4).
(3) نظم الدرر، للبقاعي، (225/7).
(4) روح المعاني، للألوسي، مج14 (212/26).
(5) التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج 12 (225/26).

إن الله ﷻ قد ذم هؤلاء لعدم تأدبهم مع رسول الله ﷺ بأنهم لا عقل لهم فيُفهَم من هذا أن من له عقل سليم هو الذي يتحلى بالأدب والأخلاق الحسنة؛ لأن من ثمرات عقله أن يهديه إلى حسن الأخلاق فيتصف بها ويعرفه بالسيئ منها فيتجنبها.

رابعاً: الرشد والهدى والصلاح:

إن من ثمرات العقل السليم أن يرزق الإنسان من الله ﷻ الرشد أو الهدى والصلاح.

والرشد هو خلاف الغي، ويستعمل استعمال الهداية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:186].

يقول الشوكاني: "لعلهم يرشدون قال يهتدون"[(1)].

ويقول السعدي: "أي يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم البغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة"[(2)].

ويقول الألوسي: "لعلهم يرشدون، أي يهتدون لمصالح دينهم ودنياهم، وأصل الباب إصابة الخير"[(3)].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ [محمد:17].

والهدى هو التوفيق الذي يخص به الله من اهتدى.

يقول ابن كثير : "﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾أي والذين قصدوا الهداية وفقهم الله –تعالى– لها، فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها ﴿وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾، أي ألهمهم رشدهم"[(4)].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد:2].

---

(1) فتح القدير، للشوكاني، (259/1).

(2) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(79).

(3) روح المعاني، للألوسي، مج2 (64/2).

(4) تفسير ابن كثير (176/4)،

يقول السعدي :"﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي أصلح دينهم ودنياهم وقلوبهم وأعمالهم وأصلح ثوابهم بتنميته وتزكيته وأصلح جميع أحوالهم"(1).

إن هذا العقل الذي يهدي صاحبه للرشد والهدى والصلاح لهو أوفر حظاً ونصيباً من العقل الذي اكتفى بأن كف صاحبه عن السوء، دون أن يرتقي به إلى هذه الدرجات التي ميزت بين الطيب والخبيث وعرفته الفرق بين الحسن والأحسن، فأخذ بصاحبه نحو الأفضل والأحسن والدرجات العلى.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (754).

المبحث الثالث

بيان القرآن لأناس عطلوا عقولهم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالذين عطلوا عقولهم وذكر أصنافهم.

المطلب الثاني: آثار تعطيل العقول.

المطلب الثالث: صور لتعطيل العقول.

المطلب الرابع: عاقبة تعطيل العقول.

المطلب الأول: التعريف بالذين عطلوا عقولهم وذكر أصنافهم

لا بد للعقل أن يعمل وإلا أصابه الصدأ، وإذا أصابه الصدأ تبلد، فلم يعد يميز بين الطيب والخبيث، والحق والباطل، فيقبل كل ما يعرض عليه دون أي تأمل أو تفكير، ومن كان عقله كذلك فما فائدة هذا العقل، وقد ذكر القرآن الكريم أصنافاً من الناس عطلوا عقولهم، حيث لم يستخدموها الاستخدام الصحيح، وهذا التعطيل أدى بهم إلى النفاق أو الشرك والكفر، ومن هذه الأصناف:

أولاً: الكافرون:

الكافرون هم أحد الأصناف التي عطلت عقولها فلم ينفعها ذلك، ولم تهتدِ إلى معرفة الله ﷻ فكذبت وكفرت بالله ورسله؛ لأن عقولها قصرت عن التأمل والتفكير الهادي إلى طريق الحق.

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:171].

يقول ابن كثير: "﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أي دعاها إلى ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنما تسمع صوته فقط وقوله ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ أي صم عن سماع الحق بكم لا يتفوهون به، عمى عن رؤية طريقه ومسلكه ﴿فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ أي لا يعقلون شيئاً ولا يفهمونه[1].

ويقول السعدي: "فهم يسمعون مجرد الصوت الذي تقوم به عليهم الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقهاً ينفعهم فلهذا كانوا صماً لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عمياً لا ينظرون نظر اعتبار، بكماً فلا ينطقون بما فيه خير لهم، والسبب الموجب لذلك كله أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء، وأجهل الجهلاء"[2].

---

(1) تفسير ابن كثير، (203/1).

(2) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (74).

ثانياً: المشركون:

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:43-44].

المشركون هم الذين عطلوا عقولهم؛ وذلك لأنهم لم يستمعوا للنبي ﷺ فيما أمرهم سمعوا بآذانهم ولكن لم يكن سماع قبول أو فكروا فيما يقول فيعقلونه.

يقول القرطبي: "﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع قبول، أو يفكرون فيما تقول فيعقلونه، أي هم بمنزلة من لا يعقل ولا يسمع"(1).

ويقول الشوكاني: "أي ما هم في الانتفاع بما يسمعونه إلا كالبهائم التي هي مسلوبة الفهم والعقل فلا تطمع منهم، فإن فائدة السمع والعقل مفقودة، وإن كانوا يسمعون ما يقال لهم ويعقلون ما يتلى عليهم، ولكنهم لم ينتفعوا بذلك، كانوا كالفاقد له"(2).

ما فائدة عقل هذا المشرك، الذي اتخذ إلهه هواه، جعله شريكاً لله ﷻ فقد جعله الله كالأنعام، بل حكم عليه بما هو فوق ذلك، حيث قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ فالبهائم تعرف ربها وتهتدي إلى مراعيها وتنقاد لأربابها، ولكن هذا المشرك لم يعرف ربه الذي خلقه ورزقه.

إنّ تعطيلهم لعقولهم واتخاذهم الأصنام والشفعاء، التي لا تعقل، لَهُوَ أكبر دليل على عدم عقلهم، فمن كان له أدنى عقل هداه عقله إلى طلب العون والالتجاء إلى من له عقل، حيث قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر:43].

ثالثاً: المنافقون:

المنافقون هم الذين لا يفقهون ما ينفعهم أو يعود عليهم بالمصلحة،بسبب نفاقهم فطبع الله عليها، بحيث لا يدخلها الخير أبداً، فهم بهذا الطبع على قلوبهم وعدم الاستفادة منها كمن لا عقل له أصلاً.قال تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:2-3]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (31/13).

(2) فتح القدير، للشوكاني، (95/4).

يقول البقاعي: ﴿لاَ يَفْقَهُونَ﴾ أي لا يقع لهم فقه في شــيء مــن الأشــياء، فهــم لا يميزون صواباً من خطأ، ولا حقاً من باطل؛ لأن المختوم عليه لا يصل إليه شيء ولا يخرج منه شيء"[1].

ويقول الشوكاني: "﴿فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ ما فيه صلاحهم ورشادهم وهو الإيمان"[2].

ويقول ابن عاشور: "والفقه: فهم للحقائق الخفية، والمعنى: إنهم لا يــدركون حقــائق دلائــل الإيمان حتى يعلموا حقيقته"[3].

إن عدم فهمهم لما فيه صلاحهم إنما يعود بسبب طبع الله على قلوبهم، والطبع ســببه عدم ثباتهم على الإيمان، بل تقلبهم بالإيمان ثم الكفر فهم لا يثبتون على حال.

رابعاً: اليهود:

اليهود من الذين عطلوا عقولهم، قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:14].

أهل الكتاب هؤلاء لا يثبتون لقتال المسلمين ولا يعزمون عليه إلا إذا كانوا متحصنين في القرى أو من وراء الجدر والأسوار؛ حين تراهم مجتمعين تحسبهم جميعاً ولكــن قلــوبهم متباغضة ومتفرقة، وهذا بسبب أنهم لا عقل لهم، ولا لب فإنهم لو كان لهــم عقــول لآثــروا الفاضل على المفضول[4].

يقول ابن عاشور: "قوله ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من أن بأسهم بينهم، ومن تشتت قلوبهم أي ذلك مسبب على عدم عقلهم إذا انساقوا إلى إرضاء خواطر الأحقاد والتشفي بــين أفرادهم وأهملوا النظر في عواقب الأمور واتباع المصالح فأضاعوا مصالح قومهم، ولــذلك

---

(1) نظم الدرر، للبقاعي، (608/7).

(2) فتح القدير، للشوكاني، (274/5).

(3) التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج 13 (238/28).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(813).

أقحم لفظ القوم في قوله ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ إيماء إلى أن ذلك من آثار ضعف عقولهم حتى صارت عقولهم كالمعدومة، فالمراد: إنهم لا يعقلون المعقل الصحيح"[1].

خامساً: السفهاء:

هم من الذين عطلوا عقولهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:13].

الآيات تتحدث عن المنافقين إذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس إيماناً بالقلب واللسان وطاعة الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر ﴿قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ يعنون –لعنهم الله– أصحاب رسول الله ﷺ، ولكن الله تولى الإجابة عنهم فقال: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء﴾ والسفيه هو الجاهل ضعيف الرأي قليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار، فأكد الله ﷻ وحصر السفاهة فيهم ﴿وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ من تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل[2].

قال السعدي : "حقيقة السفه، جهل الإنسان بمصالح نفسه، وسعيه فيما يضره، وهذه الصفة منطبقة عليهم، كما أن العقل والحجا، معرفة الإنسان بمصالح نفسه، والسعي فيما ينفعه، وفي دفع ما يضره، وهذه الصفة منطبقة على الصحابة والمؤمنين فالعبرة بالأوصاف والبرهان، لا بالدعاوى المجردة، والأقوال الفارغة"[3].

ويتضح مما تقدم أن الأصناف السابقة لا عقل لها؛ لأنه لو كان لها عقل لهداها إلى خالقها وبارئها، فصاحب العقل السليم يهديه عقله إلى معرفة الله ﷻ والإيمان به وتصديق كل ما جاء به رسله، فهؤلاء لما قصرت عقولهم لم يهتدوا، حيث دعتهم الرسل للرشاد والهدى وأمرتهم بما فيه صلاحهم وفلاحهم والفوز بالجنة والبعد عن النار، ثم لم يستمعوا لنصيحة الرسل فاتبعوا الباطل، فهؤلاء ليس لهم أدنى عقل وهم أسفه السفهاء.

---

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور ، مج 13(106/28).

(2) انظر: تفسير ابن كثير، (54/1).

(3) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(37).

المطلب الثاني: آثار تعطيل العقول.

تحدثت عن الأصناف التي عطلت عقولها، وسأذكر في هذا المطلب بعض آثار هـذا التعطيل، ومنها:

أولاً: عبادة غير الله:

إن عبادة غير الله هي أحد آثار تعطيل العقول؛ وذلك لأن العاقل صاحب العقل السليم عرف الله فآمن به، أما من صرف العبادة لغيره فهذا لا عقل له، عاقبه الله وذمه بأنه لا يعقل، وقد جاء في هذا السياق حديث وحوار إبراهيم عليه السلام مع قومه وإنكاره عليهم عبادتهم لغير الله، قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [الأنبياء:62-67].

إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات يبين لهم أن عبادتهم لغير الله هي من آثار تعطيلهم لعقولهم، ويظهر هذا عندما سألوه: أأنت فعلت هذا؟ عندما وجدوا أصنامهم محطمة، فرد عليهم بأن كبيرهم هو الذي حطمها غضباً عليها، لما عُبدت معه وأراد أن تكون العبادة منكم لصنمكم الكبير وحده، وأراد إبراهيم عليه السلام أن يقيم عليهم الحجة ويلزم الخصم بكلامه هذا، حيث قال لهم ﴿**فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾، وكل أحد يدري أنها لا تنطق ولا تتكلم ولا تنفع ولا تضر ﴿**فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ**﴾ أي ثابت إليهم عقولهم، وعلموا أنهم ضالون في عبادتهم، وأقروا على أنفسهم بالظلم والشرك ﴿**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ**﴾ لكنهم عادوا فعطلوا عقولهم وانتكست وضلت أحلامهم فردوا عليه: إنك تعلم أنهم لا ينطقون، فقال موبخاً لهم معلناً شركهم على رؤوس الأشهاد، ومبيناً عدم استحقاق آلهتهم للعبادة؛ لأنها لا تنفع ولا تضر. وما أضلكم وأخسر صفقتكم أنتم وما عبدتم من دون الله ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ لتعرفوا أنكم عدمتم العقل عندما ارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة(1).

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(503).

يقول الشوكاني: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي ليس لكم عقول تتفكرون بها فتعلمون هذا الصنيع القبيح الذي صنعتموه"(1).

ثانياً: افتراء الكذب على الله:

افتراء الكذب على الله أحد آثار تعطيل العقول، وقد ورد هذا الأثر في سياق ادعاء الكافرين بأن الله قد حرم وأحل بعض الأشياء، وقد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فكان جزاءهم أن يكونوا كمن أهمل وعطل عقله الذي لم يهديه إلى الحق والرشاد بل ضله ضلالاً كبيراً.

قال تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ [المائدة:103].

في هذه الآيات يذم الله ﷻ المشركين الذين شرَّعوا في دينه ما لم يأذن به، وحرموا من مواشيهم ما أحله الله بآرائهم الفاسدة، قال تعالى ﴿**مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ**﴾ والبحيرة هي الناقة التي يشقون أذنها ثم يحرمون ركوبها ﴿**وَلاَ سَآئِبَةٍ**﴾ والسائبة وهي الناقة أو البقرة أو الشاة إذا بلغت سناً اصطلحوا عليه سيبوها فلا تركب، ولا يحمل عليها ولا تؤكل، ﴿**وَلاَ حَامٍ**﴾ أي جمل يحمي ظهره عن الركوب والحمل، إذا وصل إلى حال معروفة بينهم، وهذا كله حرموه افتراءً وكذباً على الله، ما أنزله الله ﷻ فلا دليل عليها ولا برهان، إنما صادرة عن جهلهم وعدم عقلهم، فيؤكد الله أنها لا دليل عليها لا من نقل ولا عقل، بل بآرائهم الفاسدة الضالة، وإذا أمروا ليتبعوا ما أنزل الله أعرضوا ولم يقبلوا(2).

يقول البقاعي – رحمه الله – "ولما كانوا قد حَرَّموا هذه الأشياء، وكان التحريم والتحليل من خواص الإله، وكان لا إله إلا الله، كان حكمهم عليها بالحرمة، نسبة لذلك إلى الله سبحانه، كذباً، فقال تعالى بعد أن نفى أن يكون جعل شيئاً من ذلك: ﴿**وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾ أي ستروا ما دل عليه عقلهم من أن الله ما جعل هذا؛ لأنهم لا وصول لهم إليه ﷻ، فلذلك قال: ﴿**يَفْتَرُونَ**﴾ أي يتعمدون بجعل هذه الأشياء من تحريم وتحليل ﴿**عَلَى اللّهِ**﴾ أي

---

(1) فتح القدير، للشوكاني، (518/3).
(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي، ص(225).

الملك الأعلى ﴿الْكَذِبَ﴾ فيحرمون ما لم يحرمه ويحللون ما لـم يحلله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ أي هؤلاء الذين جعلوا هذه الأشياء ﴿لاَ يَعْقِلُونَ﴾، أي لا يتجدد لهم عقل، وهم الذين ماتوا على كفرهم"[1].

ثالثاً: تقليد الآباء في باطلهم:

إن تقليد الآباء في الباطل هو أحد آثار تعطيل العقل؛ وذلك لأنه يقلد آباءه دون أن يفكر أن هذا حق أم باطل، وقد ذكر القرآن الكريم هذا الأثر في القرآن وقد ذم فيه من قلد آباءه دون تفكير، وذم آباءهم كذلك.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:170].

سأل الله ﷻ هؤلاء الناس: كيف تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وتتركون ما يأمركم به الله، وآباؤكم لا يعقلون شيئاً من أمر الله ولا هم مصيبون، والمتبعُ يتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه أما الجاهل فلا يتبعه إلا من لا عقل له[2].

يقول الألوسي: "الضمير للناس والعدول عن الخطاب إلى الغيبة للتنبيه على أنهم لفرط جهلهم وحمقهم ليسوا أهلاً للخطاب، بل ينبغي أن يصرف عنهم إلى من يعقله، وفيه من النداء لكل أحد من العقلاء على ضلالتهم ما ليس إذا خوطبوا بذلك"[3].

رابعاً: تحريف كلام الله:

تحريف كلام الله ﷻ كذلك من آثار تعطيل العقول؛ لأن صاحب العقل السليم لا يمكن أن يغير أو يبدل في كلام الله ﷻ بل يؤمن به كما أنزله، يتدبره ويحفظه من التأويل والباطل والتحريف والإخلال بمعانيه، أما من عطل عقله فلم يعرف حق الله ﷻ وحق كلامه من التنزيه وعدم التحريف فسيقع حتماً في تحريف كتابه، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:75].

---

(1) نظم الدرر، للبقاعي، (552/2).

(2) انظر: جامع البيان، للطبري، (98/2).

(3) روح المعاني، للألوسي، مج1 (40/2).

المراد بالتحريف:

التحريف لغة:

حَرَفَ عن الشي، يَحْرِفُ حَرْفاً وانحرف وتحرّف، واحْرَوْرَفَ: عدل. أو مال عن الشيء. وتحريف الكلِم عن مواضعه: تغييره. والتحريف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها(1).

التحريف اصطلاحاً:

هو إخراج الشريعة والوحي عما جاءت به، بالتغيير والتبديل في الألفاظ، وهو قليل أو بالكتمان والتفسير الباطل والتأويل الفاسد(2).

في هذه الآية الكريمة يقطع الله ﷻ أطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب؛ وذلك لأن أخلاقهم لا تقتضي الطمع فيهم، حيث حرفوا كلامه من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني، ما أرادها الله ﷻ ليوهموا الناس أنها من عنده، وما هي من عنده، فإذا كان حالهم هكذا في كتابهم الذي هو شرفهم، فهل يرجى منهم أن يؤمنوا لكم وبدينكم، فهذا بعيد(3).

يقول سيد طنطاوي في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:75] : "زيادة تشنيع عليهم، حيث إنهم حرفوا كلام الله ﷻ بعد فهمهم له عن تعمد وسوء نية، وارتكبوا هذا الفعل الشنيع، رغم علمهم بما يستحقه مرتكبه من عقوبة دنيوية وأخروية في هذين القيدين من النعي عليهم ما لا مزيد عليه، حيث أبطل بهما عذر الجهل والنسيان، وسجل عليهم تعمد الفسوق والعصيان"(4).

خامساً: الاستهزاء والسخرية بدين الله وشعائره:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ**﴾ [المائدة:57-58].

---

(1) لسان العرب، (43/9).

(2) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج1 (568/1).

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(49).

(4) الوسيط ، لسيد طنطاوي (230/1).

الله ﷻ ينهى المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى أولياء يحبونهم، ويتولونهم، ويبدون لهم أسرار المؤمنين ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين؛ لأن تقوى الله ﷻ تمنعهم من موالاتهم، وكذلك لحقد هؤلاء على المسلمين وقدحهم في دين الله واتخاذهم إياه هزواً ولعباً واستحقاراً واستصغاراً، وخصوصاً الصلاة التي هي من أهم شعائر المسلمين، حيث إذا نادى المسلمون للصلاة اتخذوها هزواً ولعباً، ذلك لأنهم لا عقل لهم، ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لفكروا بها وأعملوها فعلموا أن هذا الأذان وهذه المناداة للصلاة أكبر من جميع الفضائل(1).

يقول ابن عاشور: "﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ تحقير لهم إذ ليس في النداء إلى الصلاة ما يوجب الاستهزاء، فجعله موجباً للاستهزاء سخافة لعقولهم"(2).

إن هذه الآثار وهي عبادة غير الله، وافتراء الكذب عليه، وتقليد الآباء في الباطل، وتحريفهم لكلام الله والاستهزاء والسخرية بدين الله وشعائره، هي من بعض الآثار التي عاقبهم الله ﷻ بسببها بتعطيل عقولهم؛ لأنهم لو آمنوا واتقوا الله لهداهم إلى الخير والصلاح، ولكنهم عصَوا وكفروا، فلم تهدهم عقولهم إلى معرفة الله ثم الإيمان.

المطلب الثالث: صور لتعطيل العقول:

ذكرت سابقاً أن أفراداً مدحهم القرآن وزكاهم لإعمالهم عقولهم، وإن أناساً عطلوا عقولهم، حيث عُرض عليهم الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه، بل عاندوا وكفروا وعادوه أشد معاداة، وسنذكر صورتين ممن عطلوا عقولهم:-

الصورة الأولى: النمرود مع إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:258].

الآيات تتحدث عن محاجّة إبراهيم عليه السلام للنمرود بن كنعان في وجود الله؛ وذلك لأنه ينكر أن يكون ثم إله غيره، وقد حمله على ذلك تجبره وعناده وطول مدته في الحكم، فطلب

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص(215).

(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج4 (242/6).

دليلاً من إبراهيم على وجود الرب الذي يدعو إليه، فقال إبراهيم: ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي الموجد للأشياء من عدم ثم عدمها بعد وجودها، فهذا دليل على الفاعل الموجد وهو الرب؛ لأنه يستحيل أن توجد بنفسها، فقال النمرود ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ فرد عليه إبراهيم عليه السلام بأن الله ﴿...يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ...﴾ فلما علم عجزه وانقطاعه بهت، أي لم يتكلم وقامت عليه الحجة(1).

تعطيله لعقله يظهر في تكبره وعناده وتعاليه بسبب الملك الذي آتاه الله ولو كان له أدنى عقل لعلم أن الذي أعطاه إياه قادر على سلبه وعلى تعذيبه، لكن الكبر الذي أشقى إبليس أشقاه هو كذلك.

يقول البقاعي: "... ولما كان ذلك أمراً باهراً معجباً بيّن أن علته الكبر الذي أشقى إبليس فقال: ﴿أَنْ﴾، أي لأجل أن ﴿آتَاهُ اللهُ﴾، أي الملك الأعلى بفضله ﴿الْمُلْكَ﴾ الفاني في الدنيا الدنيئة، فجعل موضع ما يجب عليه من شكر من ملكه ذلك محاجته فيه وكبره رغماً عنه، وعرفه إشارة إلى كماله بالنسبة إلى الآدميين بالحكم على جميع الأرض"(2).

نجد أن النمرود ممن عطل عقله؛ وذلك لأن إبراهيم عليه السلام بدأ بالدعوة إلى التوحيد واحتج بحجة واضحة يدركها كل عاقل وهي أن الرب الحق هو الذي يحيي ويميت، فإن كل أحد يعلم بالضرورة أنه لا يستطيع إحياء ميت فابتدأ حجته بدلالة عجز الناس عن الإحياء، فعلم أن الإحياء والموت بيد الرب فلو كان له أدنى عقل لسلَّم لإبراهيم وآمن ولكن كبره وعناده أشقياه وجعلاه في الضلال.

الصورة الثانية: قارون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۞

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، (307/1)

(2) نظم الدرر، للبقاعي، (503/1).

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص:76-81].

الآيات الكريمة تتحدث عن قصة وحالة قارون، ما فعل وكيف نصحه قومه وكيف رد عليهم، فقارون من قوم موسى الذين فُضلوا على العالمين وامتن الله عليهم بالكثير، ولكن قارون انحرف عن سبيل قومه فبغى عليهم وطغى بما آتاه الله، فقد أعطاه الله الكنوز الكثيرة حتى إن مفاتح خزائن أمواله تثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنّنا بالخزائن ولكن قومه نصحوه أن يأخذ من الدنيا نصيباً ويستفيد من هذه الأموال للآخرة، وأن الله لا يحب الفرحين بالدنيا وملاذها والمنشغلين بها عن الآخرة[1].

تعطيل عقله يظهر في:

1- عندما رد على نصيحتهم كافراً بنعمة ربه ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ أي إنما أدركت هذه الأموال بكسبي، ومعرفتي بوجوه المكاسب، أو أن الله يعلم أني أهل لذلك.

2- أنه لو أعمل عقله قليلاً ففكر أن الذي أعطاه إياه قادر على أن يسلبه لرجع وعاد وأناب ولكن علوه وكفره أعمى بصيرته، فطغى الكفر على العقل فلم يفكر جيداً.

يقول البقاعي: "ألا يخاف أن يسلبه الله – عقوبة له على هذا – علمه وماله ونفسه؟ ألم يعلم أن ذلك إنما هو بقدرة الله؟ لا صنع له في الحقيقة في ذلك أصلاً، لأن الله قد أفقر من هو أجل منه حيلة وأكثر علماً، وأعطى أكثر منه من لا علم له ولا قدرة، فهو قادر على إهلاكه، وسلب ما معه وإفنائه، كما قدر على إيتائه"[2].

لقد ذكر القرآن الكريم نماذج أخرى ممن عطلوا عقولهم، وقد كان النمرود وقارون من هذه الأمثلة الكثيرة التي وهبها الله ﷻ عقلاً لكنهم أهملوها وعطلوها فلم يفكروا التفكير الصحيح السليم الذي يهديها إلى خالقها وبارئها وإلهها الحق، فكان عاقبة تعطيل عقلهم بقاءهم على ما هم عليه من الكفر والضلال.

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(598).

(2) نظم الدرر ، للبقاعي، (519/5).

المطلب الرابع: عاقبة تعطيل العقول:

يذكر القرآن الكريم عاقبة من عطّل عقله، ومنها: -

أولاً: تشبيههم بالأنعام:

قال تعالى: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ [الفرقان:44].

جاءت هذه الآيات في سياق الحديث عن المكذبين للنبي ﷺ والمعاندين لآيات الله المستكبرين في الأرض المستهزئين به ﷺ قائلين:﴿**أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولًا**﴾ [الفرقان:41] وفي تمام الحديث عنهم يخبر الله ﷻ نبيه ألا يعتقد أنهم يسمعون أو يعقلون فإنهم لا يسمعون الحق ولا يدركونه بعقولهم، إن هم إلا كالأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، في عدم سماع الحق وإدراكه، بل هم أضل، أي أبعد عن فهم الحق وإدراكه[1].

وجه تشبههم بالأنعام:

ومن هذه الآية يتضح مدى أهمية عمل العقل وأن المراد منه عمله وثمراته ؛ لأن الأنعام لها عقل ولكن هل يعمل أم لا؟ ولم شبه الله هؤلاء المعطلين لعقلهم بالأنعام؟.

يقول ابن عاشور: "وجملة ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ**﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن ما تقدم من إنكار أنهم يسمعون يثير في نفس السامعين سؤالاً عن نفي فهمهم لما يسمعون مع سلامة حواس السمع منهم، فكان تشبيههم بالأنعام تبييناً للجمع بين حصول اختراق أصوات الدعوة آذانهم مع عدم انتفاعهم بها لعدم تهيئتهم للاهتمام بها، فالغرض من التشبيه التقريب والإمكان"[2].

بيان أنهم أضل من الأنعام:

قال تعالى: ﴿**بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾.

يقول الزمخشري: "فإن قلت: كيف جعلوا أضل من الأنعام؟ قلت: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها، وتتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا

---

(1) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي، (332/6).

(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج9 (37/19).

يتقون العقـــاب الذي هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الــذي هــو المــشرع النهـــي والعذب الروي"[1].

يقول ابن عاشور: "وانتقل في صفة حالهم إلى ما هو أشد من حال الأنعام بأنهم أضل سبيلاً من الأنعام، وضلال السبيل عدم الاهتداء للمقصود لأن الأنعام تفقه بعض ما تسمعه من أصوات الزجر ونحوها من رعاتها وسائقيها، وهؤلاء لا يفقهون شيئاً من أصوات مرشـــدهم وسائسهم وهو الرسول ﷺ "[2].

ثانياً: هم شر الدواب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللهِّ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال:22].

يخبر الله ﷻ في هذه الآيات أن شر من يدب عليها هو الذي تأتيه الآيـــات والنـــذر، ولكنه لا يستمع للحق ولا يتكلم به فهو صم بكم، وقد وصفه الله بذلك؛ لأن الله خلـــق هـــاتين الحاستين ليستمع وينطق بالحق، فلما لم يستخدمهما لذلك فهم (الدواب) فاقدون لهذه الحـــواس وقد وصفوا كذلك بأنهم الذين لا يعقلون، وذلك تحقيقاً لكمـــال سوء حالهم، فإن الأصم الأبكـــم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره ويهتـــدي إلى بعض مطالبـــه، أمـــا إذا كان فاقداً للعقل فقد بلغ الغاية في سوء الحال وأن يوصف بأنه شـــر الدواب، حيث أبطل مـــا يمتاز به[3].

سبب وصفهم بذلك:

يقول السعدي: "الذين لا يعقلون ما ينفعهم ويؤثرونه على ما يضرهم، فهـــؤلاء عنـــد الله، من شرار الدواب؛ لأن الله أعطاهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ليستعملوها في طاعـــة الله، فاستعملوها في معاصيه ، وعدموا – بذلك– الخير الكثير، فإنهم كانوا بصدد أن يكونوا مـــن خيار البرية فأبوا هذا الطريق، واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شر البرية[4].

---

(1) الكشاف، للزمخشري، (816/3).
(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج9 (38/19).
(3) انظر: روح المعاني، للألوسي، مج6 (273/9،274).
(4) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (ص298).

ثالثاً: وصفهم بالرجس:

معنى الرجس لغة واصطلاحاً:

(أ) **الرجس لغـــة:** الشيء القذر، وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبـيح واللعنـة والعـذاب والكفر.

والرجس في القرآن: العذاب كالرجز(1).

(ب) **الرجس اصطلاحاً:** يطلق على الشيء القبيح المستقذر، وحقيقته الخبث والفساد، وأطلـق في الآية السابقة على الكفر، وما يترتب عليه من عذاب؛ لأنه خبث نفساني، والقرينـة مقابلته بالإيمان(2).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [يونس:99-100].

الآيات موجهة للنبي ﷺ يخبره الله ﷻ أنه لو شاء لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جئتهم به فآمنوا كلهم، ولكن له حكمة فيما يفعله، ثم يخبره بأنه ليس له أن يلـزم ويلجـئ الناس حتى يكونوا مؤمنين، أي ليس ذلك للنبي ﷺ ولا عليه، بل الله – تعالى – هـو الهـادي من يشاء والمضل لمن يشاء لعلمه وحكمته وعدله، فليس لنفس أن تؤمن إلا بإذنه فيأذن لمـن يشاء من تلك الأنفس بالإيمان ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون(3).

سبب هذه العاقبة:

إن الله ﷻ قد بين للناس الدلائل الكثيرة وأرشد إلى أسباب الإيمان ودفـع غـشاوات الكفر وبين لهم ثمرات الإيمان الطيبة وحذرهم من التكذيب وبين آثاره السيئة، فمن آمن نجَّـاه وأسعده ومن لم يؤمن جعل الرجس عليه جزاء له؛ لأنه لا يعقل إذ لو عقل لمـا كـذَّب ربـه وكفر به وعصاه وتمرد عليه وهو خالقه ومالك أمره.

---

(1) لسان العرب، (95/6).

(2) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، مج6 (294/11)، الوسيط، للسيد طنطاوي، (177/7).

(3) تفسير ابن كثير، (93/2).

رابعاً: دخولهم النار:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۞ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۞ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:6-10]

يخبر ﷻ أنه أعد للكافرين عذاب جهنم وبئس المآل والمنقلب، تغلي بهم ويكاد ينفصل بعضها عن بعض من شدة غيظها عليهم، ومن عدله سبحانه أنه يرسل الرسل فلا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسل لكنهم كفروا بالله وكذبوا الرسل فكان عاقبتهم دخولهم النار(1).

سبب دخولهم النار:

سبب دخولهم النار أنهم لم يكونوا يسمعون أو يعقلون وهم يعترفون بهذا ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۞ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:10-11].

قال ابن كثير: "﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، أي لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾"(2).

يقول البقاعي: ﴿وَقَالُوا﴾، أي الكفرة في توبيخ أنفسهم: ﴿لَوْ كُنَّا﴾، أي بما هو لنا، أي الغريزة، ولما كان السمع أعظم مدارك العقل الذي هو مدار التكليف قالوا: ﴿نَسْمَعُ﴾، أي سماعاً ينفع بالقبول للحق والرد للباطل ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾، أي بما أدته إلينا حاسة السمع وغيرها عقلاً ينجي وإن لم يكن سمع، وإنما قصروا الفعلين إشارة إلى أن ما كان لهم من السمع والعقل عدمٌ لكونه لم يدفع عنهم هذا البلاء بالقبول من الرسل لمَّا ذكّروهم به من نصائح ربهم وشهادة الشواهد من الآيات البينات ﴿مَا كُنَّا﴾، أي كوناً دائماً ﴿فِي أَصْحَابِ

(1) انظر: تفسير ابن كثير، (397/4).
(2) المرجع السابق، (397/4).

السَّعِيرِ﴾، أي في عداد من أعدت له النار التي هي في غاية الاتقاد والحر والتلهب والتوقد"[1].

هذا العقاب والجزاء والعاقبة لمن عطل عقله الذي أنعم الله به عليه من عدل الله ﷻ حيث أرسل الرسل وأقام الحجة على الناس فمن دله عقله على الخير دخل الجنة، ومن عطل عقله فلم يعرف ربه ولا حقه عوقب بتلك العقوبات ﴿...**وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت:40].

(1) نظم الدرر، للبقاعي، (72/8، 73).

الفصل الثالث

نظرة الناس للعقل وعلاقته بالنقل

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: النظرة الصحيحة السليمة للعقل.

المبحث الثاني: النظرة الخاطئة للعقل.

المبحث الثالث: العلاقة بين العقل والنقل.

المبحث الأول
النظرة الصحيحة السليمة للعقل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصحاب النظرة الصحيحة للعقل.

المطلب الثاني: طبيعة النظرة الصحيحة للعقل.

المطلب الأول: أصحاب النظرة الصحيحة للعقل.

أصحاب النظرة الصحيحة للعقل هم أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية.

يقول ابن تيمية[1] – رحمه الله – "فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم فهم وسط في باب صفات الله..."[2].

أولاً: التعريف بعقيدة أهل السنة والجماعة.

يقول ابن تيمية : "فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره"[3].

ثانياً: أصول أهل السنة والجماعة.

1- تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا العقيدة وعدم رد شيء منهما أو تأويله.

2- الأخذ بما ورد عن الصحابة في بيان القضايا الدينية عامة وفي قضايا العقيدة خاصة.

3- عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لا مجال للعقل فيه.

4- عدم مجادلة أهل البدع أو مجالستهم أو سماع كلامهم أو عرض شبههم.

5- الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم[4].

6- الاعتقاد أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وكذلك سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، والتصديق بكرامات الأولياء[5].

---

(1) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني الدمشقي، الحنبلي، شيخ الإسلام، ولد في حران، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، له تصانيف كثيرة، توفي بقلعة دمشق سنة (728هـ). انظر: العبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي، (84/4). الأعلام (144/1).

(2) شرح العقيدة الواسطية، ص(334).

(3) المرجع السابق، ص(28، 31).

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (74/1).

(5) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ص(455).

ثالثاً: أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة.

أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وكما أن لهم منهجاً اعتقادياً فإن لهم منهجاً ينظم كل أمر يحتاجه المسلم، ومن أهم الخصائص والمميزات التي تميزهم عن غيرهم [1]:

1- الاهتمام بكتاب الله: حفظاً وتلاوة وتفسيراً، والاهتمام بالحديث معرفةً وفهماً ورواية وتمييزاً للصحيح من السقيم.

2- الاتباع: وترك الابتداع، والاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين.

3- الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول، المقتدى بهم في العلم والعمل والدعوة من الصحابة ومن سار على نهجهم، ومجانبة من خالف سبيلهم.

4- الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق وتوحيد الصفوف وإبعاد أسباب النزاع والخلاف.

5- إن لهم موقفاً من الفتن عامة، ففي الابتلاء يقومون بما أوجب الله ﷻ تجاه هذا الابتلاء، وفي فتنة الكفر يحاربون الكفر ووسائله، ويرون أن أصحاب البدع متفاوتون قرباً وبعداً عن السنة فيعامل كل بما يستحق.

6- لا يجوِّزون تكفير أو تفسيق أو حتى تأثيم علماء المسلمين لاجتهاد خاطئ أو تأويل بعيد خاصة في المسائل المختلف فيها.

المطلب الثاني: طبيعة النظرة الصحيحة للعقل.

النظرة الصحيحة للعقل هي نظرة الإسلام المتمثلة بأصحابها وهم أهل السنة والجماعة وطبيعة هذه النظرة الصحيحة تتمثل فيما يلي:

أولاً: حقائق تؤكد مدى احترام الإسلام للعقل وتقديره له أحسن تقدير.

لقد اهتم الإسلام بالعقل واحترمه وقدره؛ لأن أهم ما في الإنسان عقله، حيث به يعرف ﷻ وعلى توحيد الله بالألوهية والربوبية يقوم الإيمان كله، وهنا حقائق تؤكد على مدى هذا الاحترام، ومنها:

---

(1) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، لمانع بن حماد الجهني، ص(42).

1- الإسلام أوجب على العقل التبصر والتفكر والعلم والتدبر والتفقه، وهـذا فيـه تقـدير واحترام له.

2- الإسلام يحترم العقل ويقدره؛ لذلك يستنكر على الناس ترك التفكـر والتـدبر والتعقـل والنظر والسير في الأرض؟ وذلك في الآيات الكثيرة التي يرد فيها الاستفهام المنفي قبل تلك الألفاظ مثل: ﴿...أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ...﴾، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ...﴾.

3- الإسلام يحترم العقل ويقدره، لذلك يخاطبه ويجعل النظر العقلي هو طريق الإنـسان إلى معرفة الحقيقة، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم:50][1].

4- اهتم الإسلام بالعقل؛ لذلك جعل قيام الدعوة إلى الإيمان على الاقتناع العقلـي، حيـث دعاه إلى إعمال ذهنه وتشغيل طاقته العقلية في سبيل وصولها إلى أمور مقنعـة فـي شؤون حياتها، فوجه هذه الطاقة إلى التفكر والتدبر في الكتاب وفـي مخلوقـات الله، وفي تشريعاته وفي أحوال الأمم الماضية وفي الدنيا ونعيمها الزائل.

5- الإسلام يعلم الناس أن الوصول إلى الإيمان إنما يكون بالتفكير والتأمل والتدبر فتـرك له الخيار بين الإيمان والكفر، قال تعالى ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ [البقـرة:256]؛ ليؤمن المؤمن عن بينة واقتناع، ولا يؤمن بتقليد الآباء والأجداد، كما يفهم ذلـك مـن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:23]

6- احترم الإسلام العقل وكرمه؛ لذلك أمره بالتعلم والحث على ذلك فكما أن نمو الجـسم بالطعام فإن نمو العقل بالعلم؛ إذ بهذا يكون الإيمان عن إدراك أوسـع وفهـم أعمـق واقتناع أتم.

7- إسناده استنباط الأحكام فيما لا يوجد فيه نص من كتاب أو سنه أو إجماع للعقل.

8- الأمر بتكريمه والمحافظة عليه والنهي عن كل ما يؤثر في سيره أو يغطيـه، فـضلاً عما يزيله، فحرم شرب الخمر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ...﴾ [المائدة:90].

---

(1) انظر: التربية العقلية، لعلي عبدالحليم ص (64، 184).

وحرم كل مسكر قال رسول الله ﷺ: **(كل مسكر خمر وكل مسكر حرام)**(1).

كل هذا حفاظاً على العقل وعلى بقائه(2).

ثانياً: مجال العقل في الإسلام.

الإسلام -كما سبق وأن ذكرنا- كرم العقل وقدره أحسن تقدير، لكنه حدد له مجالاته التي يخوض فيها، وهذا من تكريمه له كذلك، وذلك حتى لا يضل؛ لأنه محدود الطاقات والملكات فلا يستطيع إدراك كل شيء مهما أوتى من قدرة وطاقة على الاستيعاب والإدراك، فعليه أن يعرف حدوده فلا يخوض في غيرها وإلا التبست عليه الأمور وتخبط في الظلمات ووقع في كثير من الأخطاء وركب العديد من الأخطار.

ولهذا حدد العلماء مجال استعمال العقل بعدد من الضوابط، منها(3):

1- منع الإسلام العقل من الخوض فيما لا يدركه ولا يكون في متناول إدراكه وهي القضايا الغيبية التي يعد الوحي هو المصدر الصحيح والوحيد لمعرفته، قال ﷺ **(لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خَلَقَ الله الخلْقَ فمن خَلَقَ الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله)**(4).

2- أمر الإسلام العقل بالاستسلام والامتثال للأمر الشرعي الصريح ولو لم يدرك الحكمة أو السبب في ذلك. وقد كانت أول معصيته لله ارتكبت بسبب عدم الامتثال لأمر الله فإبليس استكبر وأبى السجود لآدم واستبد برأيه فقارن بين خلقه وخلق آدم عليه السلام ﴿...**قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ [الأعراف:12]. فلم يمتثل للأمر طلباً للسبب الذي يسجد لأجله، فلمَّا لم يدرك عقله السبب رفض الامتثال فكانت المعصية وكانت العقوبة.

3- ألا يتعارض مع النصوص الصحيحة.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام (1587/3) ح (2003).

(2) انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، لفهد بن عبدالرحمن الرومي،ص(33، 35، 36).

(3) انظر: المرجع السابق، ص(38)، الموسوعة الميسرة، ص (70).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (119/1) ح (134).

4- أن يتقدم النقل على العقل في الأمور التي لم تتضح حكمتها وهي ما يعرف بـالأمور التوقيفية؛ وذلك لأن العقول متغيرة وتختلف وتتأثر بمؤثرات كثيرة تجعلها لا تصلح لأن تكون الحكم المطلق في كل الأمور.

مجال العقل الصحيح الذي شغله القرآن الكريم به(1):

وجه القرآن الكريم العقل الإنساني إلى وظائف ثلاث كبرى، هي:

الأولى: الكشف عن السنن التي تسير بها المخلوقات من جماد ونبات وإنسان وحيوان، ليسخرها وينتفع بها.

الثانية: فهم معاني النصوص الشرعية، وإدراك الأسرار والحكم والمقاصد التي تضمنتها أحكامها والاجتهاد لاستنباط الأحكام الخاصة.

الثالثة: الاعتبار من الحكم والأسرار الكامنة في الكون والشرع وإدراك الغاية والحكمة بين ذلك كله، ووجود الإنسان في الأرض ومهمته فيها.

مما سبق نخلص إلى أن الإسلام قد اهتم اهتماماً كبيراً بالعقل؛ لأنه مناط التكليف، فكرمه وقدره أحسن تقدير، ومن كرمه وتقديره له حدد له مجاله الذي يخوض فيه ولا يخوض فيما لا يدركه حتى لا يتخبط ويخطئ؛ وذلك لأن العقل مقيد بعالم الحس، والحواس في هذا العالم الغيبي لم تستطع أن تسجل شريطاً تنقله للعقل فكيف سيحكم على شيء لم تصل إليه معلومات عنه، فقد يختلف عالم الغيب عن عالم الحس كل الاختلاف فالأسلم للعقل حتى لا يخطئ أو يتخبط أن يسلم لطريق آخر يدله على عالم الغيب، ألا وهو وحي الله لرسله.

---

(1) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، لمحمد عز الدين توفيق، ص(28).

المبحث الثاني

النظــرة الخــاطئـــة للعقــــل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصحاب النظرة الخاطئة للعقل.

المطلب الثاني: طبيعة النظرة الخاطئة.

المطلب الأول: أصحاب النظرة الخاطئة.

أصحاب النظرة الخاطئة هم كل من خالف أصحاب النظرة الصحيحة، أي أهل السنة والجماعة، ومن أهم من خالفهم في نظرتهم للعقل، ووضعوه في غير موضعه، وأقحموه في غير مجاله هم المعتزلة.

أولاً: التعريف بالمعتزلة.

المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، يلقبون بالقدرية، والعدلية، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، فافترقت نتيجة لذلك فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها[1].

ثانياً: النشأة والتأسيس.

اختلف العلماء في ملابسات نشأة المعتزلة ومن مؤسسها، ولكن ما يهمنا في موضوعنا أن نشأة المعتزلة كانت ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية، ثم برزت المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء الغزال، الذي كان تلميذاً للحسن البصري، ثم اعتزل حلقة الحسن بعد قوله بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين (أي ليس مؤمناً ولا كافراً)، وأنه مخلد في النار إذا لم يتب قبل موته، ولاعتماد المعتزلة على العقل في فهم العقائد وتقصيهم لمسائل جزئية فقد انقسموا إلى طوائف مع اتفاقهم على المبادئ الرئيسية الخمسة، وكل طائفة من هذه الطوائف جاءت ببدع جديدة تميزها عن الطائفة الأخرى، وسمت نفسها باسم صاحبها الذي أخذت عنه[2].

ثالثاً: أفكار وأصول المعتزلة.

1- الأفكار المبتدعة:

بداية المعتزلة جاءت بفكرتين مبتدعتين:

الأولى: القول بأن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل، فهو يخلق أفعاله بنفسه ولذلك كان التكليف.

---

(1) انظر: الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (43/1)، الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ص (114)، الموسوعة الميسرة ، ص(64).

(2) انظر: الموسوعة الميسرة ص (64، 65).

الثانية: يقولون بأن مرتكب الكبيرة بمنزلة بين المنزلتين، ليس مؤمناً ولا كافراً، ولكنه فاسق، هذه حاله في الدنيا، وفي الآخرة لا يدخل الجنة؛ لأنه لم يعمل بعمل أهلها، بل خالد مخلد بالنار[1].

2- أصول المعتزلة:

أجمعت المعتزلة على أصول خمسة، ويقول أحدهم بأنه لا يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة، فإذا كملت عنده فهو معتزلي، وهذه الأصول هي:

أ- الأصل الأول: التوحيد:

هو لب مذهبهم، وأهم أصول المعتزلة، وقد سموا أنفسهم بأهل التوحيد، وبالرغم من أن جميع المسلمين يقولون بالتوحيد إلا أن أهل السنة قالوا: إن الله – تعالى – واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له، أما المعتزلة فقالوا: إن الله – تعالى – واحد في ذاته، لا قسمة ولا صفة له، وواحد في أفعاله لا شريك له: فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله، ومحال وجود قديمين، ومقدور بين قادرين، وذلك هو التوحيد[2].

ولكنهم بنوا على هذا الأصل أموراً، منها[3]:

- تعطيل الصفات وأن الصفات ليست شيئاً غير الذات.
- استحالة رؤية الله ﷻ يوم القيامة.
- القول بأن القرآن مخلوق لله تعالى.

ونلحظ من تعريف المعتزلة للتوحيد والأمور التي بنيت على هذا الأصل أنهم خالفوا مخالفة صريحة مذهب أهل السنة والجماعة الذين يصفونه ﷻ بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، متمسكين بقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180].

---

(1) انظر: الموسوعة الميسرة، ص (67).

(2) انظر: الملل والنحل، (42/1)، منهج المدرسة العقلية، ص (44).

(3) انظر: التفسير والمفسرون ، لمحمد حسين الذهبي ،(378/1).

ب- الأصل الثاني: العدل:

العدل من أهم أصولهم مع التوحيد، فقد سموا أنفسهم كذلك أهل العدل وأهل التوحيد، وإن كان المسلمون يقولون بالعدل إلا أن المعتزلة تعمقوا في معناه وحدوده، فصاروا به ألصق وأشهر، بغض النظر عن المصيب والمخطئ، فالعدل عند أهل السنة يراد به أن الله تعالى عدل في أفعاله بمعنى أنه متصرف في مُلكه ومِلكه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فالعدل وضع الشيء في موضعه وهو التصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم، والظلم بضده فلا يتصور منه ﷻ جور في الحكم ولا ظلم في التصرف، وعلى مذهب المعتزلة فالعدل ما يقتضيه العقل من الحكمة، فهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة.

وأثاروا حول هذا مسائل كثيرة تعين منها أن الإنسان هو الخالق لأفعاله كلها خيرها وشرها، وقد أفضى بهم هذا إلى إنكار القدر، وأن الإنسان هو القادر على فعل الخير والشر أو تركهما ولا دخل لقدر الله في ذلك(1).

ج- الأصل الثالث: الوعد والوعيد:

يُراد بالوعد والوعيد عند أهل السنة كلامه الأزلي، وَعَدَ على ما أمر، وأوعد على ما نهى، فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده، وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده، فلا يجب عليه شيء من قضية العقل.

أما المعتزلة أهل العدل، فقالوا: لا كلام في الأزل، وإنما أمر ونهي، ووعد وأوعد بكلام محدث، فمن نجا فبفعله استحق الثواب، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب، والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك(2).

ونلحظ هنا ما وقع فيه المعتزلة في هذا الأصل، حيث قالوا: إن الله وعد المحسن بالثواب وأوعد المسيء بالعقاب (فيجب) على الله أن يثيب المحسن وأن يعاقب المسيء، فلو لم يعاقب لزم الخلف في وعيده، وهم بذلك جعلوا الثواب والعقاب على الأعمال حتماً التزام الله تعالى به، وفي هذا نجد الخلاف واضحاً بينهما وبين المنهج الحق في هذا، وهو منهج أهل السنة والجماعة.

---

(1) انظر: الملل والنحل، (42/1)، منهج المدرسة العقلية، ص (47، 50).

(2) الملل والنحل، (42/1).

د- الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين:

وهذه المنزلة لأهل الكبائر فهم ليسوا بمؤمنين ولا بكافرين، وإنما بمنزل بين المنزلتين الإيمان والكفر، وهي منزلة الفسق، فصاحب الكبيرة فاسق ومخلد في النار ولو صدّق بوحدانية الله وآمن برسله[1].

هـ- الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هو مبدأ مقرر عندهم، وواجب على المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية وهداية الضالين وإرشاد الغاوين، ولكنهم بالغوا في هذا الأصل، وخالفوا ما عليه الجمهور، فقالوا: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بالقلب إن كفى، وباللسان إن لم يكف القلب، وباليد إن لم يغنيا، وبالسيف إن لم تكف اليد[2].

ويقولون إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل إنسان بما يستطيع: فذو البيان ببيانه، والعالم بعلمه، وذو السيف بسيفه، ومن حقيقة هذا الأصل أنهم يقولون بوجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق[3].

المطلب الثاني: طبيعة النظرة الخاطئة للعقل.

أولاً: أسباب ظهور النظرة الخاطئة.

1- انحراف المسلمين عن المنهج الإسلامي الصحيح، فلقد تضمن الكتاب والسنة كل ما يهدي المسلمين إلى طريق الحق، ولكن بعض المسلمين انحرفوا عن منهج أهل السنة والجماعة من سلف الأمة الصالح وركنوا إلى بعض التصورات العقلية بمنأى عن الهداية العقدية الواردة فيهما فضلوا وأضلوا.

2- التأثير الأجنبي على المسلمين من خلال الثقافات الوافدة التي استطاعت أن تنفذ إلى بعض فئات المجتمع الإسلامي المهمة، فتأثرت وأثرت من خلال الحاقدين، فبدأ نوع من الاستقطاب لقطاع من المسلمين فانحرفوا بعقيدتهم.

---

(1) انظر: منهج المدرسة العقلية، ص (51).

(2) انظر: التفسير والمفسرون، (378/1).

(3) انظر: الموسوعة الميسرة، ص (68).

3- ركون بعض المسلمين إلى السلبية وعدم قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث لم يسعوا سعياً حثيثاً لرأب الصدع واستشعار المعنى العميق للوحدة الإيمانية وما تستلزمه من محبة وأخوة[1].

ثانياً: طبيعة النظرة الخاطئة.

إن أصحاب النظرة الخاطئة للعقل -كما أسلفنا- هم المعتزلة ومن سار على نهجهم في الاعتماد على العقل وطبيعة هذه النظرة الخاطئة تتمثل في استخدام العقل في غير مجاله: في أمور غيبية تقع خارج الحس ولا يمكن محاكمتها محاكمة عقلية صحيحة، وفي بناء عدد من القضايا على مقدمات معينة، فكانت النتائج ليست صحيحة على إطلاقها، وهو أمر لا يُسلم به دائماً حتى لو اتبعت نفس الأساليب التي استعملوها في الاستنباط والنظر العقلي، مثل: نفيهم الصفات عن الله اعتماداً على قوله ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾ [الشورى:11] وكان الصحيح ألا تنفى عنه الصفات التي أثبتها لنفسه ﷻ ، ولكن تفهم الآية على أن صفاته ﷻ لا تماثل صفات المخلوقين.

وتتمثل كذلك النظرة الخاطئة في إعطاء العقل حرية البحث في كل شيء، في ما يُحَس وما لا يُحس، ثم جعله أساس البحث في الإيمان كله، فترتب على ذلك أن جعلوا العقل أساساً للقرآن، ولم يجعلوا القرآن أساساً للعقل، وكذلك قاموا بتحكيمه تحكيماً مطلقاً ورفعوا شأنه ونوهوا به أينما تنويه، وقالوا: خلق العقل لِيَعْرف وهو قادر على أن يعرف كل شيء، وجعلوه الحكم الذي يحكم في كل شيء والنور الذي يجلو كل ظلمة، حكموه في إيمانهم وفي جميع شؤون حياتهم الخاصة والعامة[2].

ثالثاً: نتائج اعتمادهم على العقل.

1- من آثار اعتمادهم على العقل في معرفة حقائق الأشياء وإدراك العقائد، أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلا، فقالوا: "المعارف كلها معقولة بالفعل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع، أي قبل إرسال الرسل، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبح"[3].

---

(1) انظر: الموسوعة الميسرة، ص (47).

(2) انظر: الإسلام وثقافة الإنسان، ص (71)، الموسوعة الميسرة، ص (70).

(3) الملل والنحل، (43/1).

2- لاعتمادهم على العقل أيضاً أوّلوا الصفات بما يلائم عقولهم، كصفات الاستواء واليد والعين، والمحبة والرضى والغضب، ومن المعلوم أن المعتزلة تنفي كل الصفات لا أكثرها[1].

3- طعن كبراء المعتزلة في أكابر الصحابة وشنعوا عليهم، ورموهم بالكذب[2].

4- حكموا العقل أكثر من تحكيمهم للشرع، بل جعلوا الأدلة العقلية مقدمة على الأدلة الشرعية فأوّلُوا آيات القرآن وإن وضح معناها، بل حاولوا إخضاع عبارات القرآن لآرائهم وتفسيرهم لها تفسيراً يتفق مع مبادئهم، وسلطان العقل عندهم جرهم إلى إنكار ما صح من الأحاديث التي تناقض أسسهم وقواعدهم المذهبية[3].

5- أدى بهم تحكيمهم للعقل إلى أن شطحوا بعقولهم فوضعوا الرسل تحت مجهر العقل ناقدين؛ لأنهم بشر فخرجت منهم عبارات لا تليق بعصمة رسل الله. ومن ذلك الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة:43] يقول:﴿ عَفَا اللهُ عَنكَ﴾ كناية عن الجناية، لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت"[4].

6- تعددت وكثرت طوائفهم وفرقهم واختلفوا فيما بينهم لاعتمادهم على العقل فقط وإعراضهم عن النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة.

ويتضح مما سبق أن المعتزلة فرقة خالفت أهل السنة والجماعة، واعتمدت على أصول لا تتفق ومذهب أهل السنة والجماعة، حيث اعتمدت على العقل اعتماداً كبيراً، فتفرقت واختلفت إلى طوائف كثيرة فضلَّت وأضلَّت، ولا أدل على شناعة وسوء هذه الفرقة من النتائج التي كانت نتيجة اعتمادهم على العقل.

---

(1) انظر: الموسوعة الميسرة، ص (69).

(2) انظر: المرجع السابق.

(3) انظر: التفسير والمفسرون، (380/1).

(4) الكشاف، للزمخشري، (445/2).

المبحث الثالث

العلاقة بين العقل والنقل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم النقل وسبب الصراع بينه وبين العقل.

المطلب الثاني: تكامل العقل والنقل.

المطلب الثالث: دفع التعارض بين العقل والنقل.

المطلب الأول: مفهوم النقل وسبب الصراع المفترى بينه وبين العقل

أولاً: مفهوم النقل:

النقل نعني به الوحي، من قرآن أو سنة.

والقرآن هو كلام الله -تعالى- المعجز ، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس[1].

والسنة هي وحي من الله -تعالى- على لسان رسوله ﷺ لا تخالف ما جاء به القرآن، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:3-4] فهي إما موافقة لما جاء في القرآن، أو مفصّلة لما ورد مجملاً، أو مثبتة لحكم سكت عنه[2].

والنقل هو أحد مسميات الوحي؛ حيث أطلق على الوحي أسماء متعددة تختلف في وجهة التسمية، ولكنها تلتقي كلها عند معنى التعاليم الدينية التي مصدرها الله ﷻ، ومبلّغها إلى الناس النبي المرسل، ومن هذه الأسماء: السمع باعتبار أن هذه التعاليم مسموعة للإنسان من قبل الأنبياء، والنص باعتبار أنها منضبطة في نصوص نازلة من قبل الله ﷻ، والنقل باعتبار أنها منقولة عنهم، والشريعة باعتبار أنها مشرعة من قبل الله ﷻ، فأي من هذه الأسماء إن استعملناه في هذا المقام فإن المقصود منه تلك التعاليم التي جاء بها محمد ﷺ، مبلغاً إياها عن ربه منضبطة في النص القرآني، ونصوص الحديث النبوي الشريف[3].

ثانياً: سبب الصراع المفترى بين العقل والنقل:

إن الصراع المفتعل بين العقل والنقل مشكلة فكرية قديمة وحديثة فرقت كلمة الأمة، وتاريخنا لم يعرف قضية بهذا الاسم إلا بعد أن طال على المسلمين الأمد وقست منهم القلوب على عهد الرسول ﷺ، بل وعهد الصحابة -رضوان الله عليهم-، ولم يكن يعرف شيء اسمه نص أو شيء اسمه عقل متمايزان يعيشان حالة صراع وتناقض.

---

(1) انظر: دراسات في علوم القرآن، ص(21)، مناهل العرفان (دراسة ونقد)، خالد بن عثمان السبت (16/1)، المغني في علم التجويد، لعبد الرحمن الجمل، ص(7).

(2) انظر: الدلالة العقلية، ص(199).

(3) انظر: خلافة الإنسان، لعبد المجيد النجار، ص(69)

ولعل أهم سبب للصراع بين العقل والنقل هو ما كان قديماً من صراع قام بين الدين النصراني المحرف وبين العلم، فقد كان هذا سبباً مباشراً في إقصاء الدين عن الحياة، بدءاً من أوروبا وانتهاءً بالعالم الإسلامي الذي لم يعرف دينه عداوة بينه وبين العلم في يوم، كما أسلفنا.

إن فرض الكنيسة لقبول مزاعم وأباطيل ادعتها وعدم مناقشتها من أحد، وإلا يعرض نفسه للطرد والحرمان، ولم تكتف بذلك ، بل أتبعتها في أمور الكون والحياة الطبيعية، فادعت آراء ونظريات جغرافية وتاريخية وطبيعية جعلتها مقدسة لا تجوز مناقشتها ولا تصحيحها، وكانت هذه القاصمة؛ لأنها الباطل الذي يسهل على التجربة بيان بطلانه، وهذا المجال قد أطلق الله للعقل الإنساني ليرتاده، وقد زوده بمؤهلات تمكنه من كشفها وتحقيقها وجعلت هذه الأسرار من أصول العقيدة التي لا يمكن فيها سؤال ولا نقاش، وهذا ادعاء ليس من طبيعة الدين كما أنزله الله، إنما هذا من مستلزمات الأديان الوثنية، فلما كان عصر انفجر فيه بركان العقلية في أوروبا فأعلن العلماء اكتشافاتهم واختباراتهم ومخالفتهم لما في الكنيسة من علم الجغرافيا والطبيعة، قامت قيامة الكنيسة، وكفروا واستحلوا دماء وأموال كل من وقف في وجوههم، فقامت العداوة والحرب بين العلماء المجددين المتنورين وبين رجال الدين، فكانت العداوة للدين المسيحي أولاً ثم للدين المطلق ثانياً ، فكانت الحرب بين العلم والدين، ومن ثم كانت النقمة على الدين من قبل العلمانيين ودعاة العقلانية، نقمة لا تستثني ديناً ولو كان حقاً، ولو لم يكن خصماً للعقل والعلم ، وهذا ما حدث في العالم الإسلامي، فظهرت دعوات تنادي بإقصاء الإسلام عن الحكم ومن مناحي الحياة المختلفة، فكانت جناية هؤلاء على الإسلام عظيمة، عندما صوروا أن الدين والعلم لا يجتمعان، ومن ثم إذا بدا تعارض بين العقل والدين في الظاهر سارع أنصار العقلانية إلى رفض الدين ولو كانت نظريات العلم لم ترقَ إلى أن تكون حقائق علمية(1).

المطلب الثاني: تكامل العقل والنقل:

إن العقل والنقل (الوحي) يكمل كل منهما الآخر، ولا يمكن أن يتعارضا بأي حال من الأحوال، والذين صوروا وقوع التعارض بينهما إنما هم مغرضون ، أو مخطئون، وإن كان هناك تعارض في الظاهر فلعله بين نصوص الوحي والرأي، وليس بين الوحي والعقل ، وذلك لأن الرأي يكون في كثير من الأحيان شخصياً أو وطنياً أو قومياً أو نابعاً من حضارة خاصة، أو ثقافة معينة، وكل هذا لا يخلو من التعصب والهوى والتقليد، مما يجعل الرأي قد يتعارض مع

---

(1) انظر: الدلالة العقلية، ص (202–209)، باختصار.

المفاهيم القرآنية الناتجة من الهوى والتعصب. والتكامل بين العقل والنص يظهر من خلال ما يلي[1]:

1. إن التكامل بين الوحي والعقل قضية بدهية عند المسلم؛ لأن الإسلام من عند الله، والعقل خلقه الله ووهبه للإنسان، ولا يمكن أن يتناقض هذا مع ذاك.
2. الغرض من الوحي هداية الناس وتحديد الأولويات في هذه الحياة والإرشاد والتوجيه للإنسان، ووصل إدراكه بالمدركات فيما وراء الحياة وعلاقات الكون لتمكن عقله من حمل المسؤولية، ولذلك فالعقل والوحي ضروريان ومتكاملان لتحقيق الحياة الإنسانية الصحيحة في هذه الأرض.
3. موافقة الإسلام للعقل في كبريات القضايا كالألوهية والنبوة والإنسان والشيطان، فكل ما جاء في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة يقبله العقل، ولا يختلف عنه في شيء فضلاً على أن يتناقض معه.

ونلخص ما سبق بما قاله الراغب الأصفهاني، حيث قال: "اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس والشرع كالبناء، ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس، وأيضا فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع، ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر، فلهذا قال الله ﷻ : ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:15-16] [2]

المطلب الثالث: دفع التعارض بين العقل والنقل:

ذكرنا -فيما سبق- أن العقل والنقل لا يتناقضان بأي حال من الأحوال، وإنما هما متعاضدان متكاملان، وقد جعل الإسلام للعقل حدوده التي لا يتجاوزها مهما بلغ من التفكير.

وإذا حدث -بعد ذلك- تعارض في الظاهر بين العقل والنقل، فلا بد أن نبحث عن سبب التعارض وحل هذا التعارض، والحل لا يكون حلاً عاطفياً بالانتصار لأحدهما من الآخر؛ لأن المصدرين صحيحان متكاملان، ولا مجال للمفاضلة أو الانتصار بينهما، ولا مجال للمسلم إلا

(1) انظر: الدلالة العقلية ، ص(213)، التربية العقلية، ص(164).

(2) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الانسان (وجوداً وقيمة،وغاية)،لأبي الحسين القاسم بن محمد الأصبهاني، ص (140، 141).

السعي لتجلية حقيقة القضية التي لا بد أن تستند في تأصيلها إلى المصدرين متعاضدين متكاملين، فإما أن يصحح فهم منطوق الوحي في الأمر أو يتم تصحيح وجه إدراك الحقيقة العقلية فيه.

ومن خلال النظر في ظواهر التعارض بين العقل والنقل يمكن رد ذلك إلى الأمور التالية:

1- القضية العقلية التي يظن أنها تعارض المنقول –أو الوحي– ليست من قضايا العقول السليمة.

2- المنقول الذي يظن أنه يعارض العقل السليم، ليس من السمع الصحيح المقبول.

3- عدم التمييز بين ما يحيله العقل وما لا يدركه(1).

4- أن يكون التعارض قائماً بسبب خطأ في فهم النص، بحيث يكون المفهوم المستنبط من النص على سبيل الخطأ متعارضاً مع أحكام العقل ، فلا يكون التعارض بين المدلول الصحيح للنص وبين العقل ، ولكن التعارض يكون بين المدلول الباطل وبين العقل(2).

وقد حل هذا التعارض، بما يشفي الصدور، شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه النفيس "درء تعارض العقل والنقل" ومن خلال ما يأتي يتبين سبب رد ابن تيمية ، وبعضاً من وجوه ردوده.

السبب الموجب لهذه الردود:

ابن تيمية يرد على كلام المتكلمين وعلى رأسهم الرازي، فيقولون بأن البراهين العقلية، إن صارت معارضة بالظواهر النقلية، فتقدم الدلائل العقلية أو تؤول الدلائل النقلية، لتتفق مع الدلائل العقلية، وفي هذا يقول الرازي: " اعلم أن الدلائل القطعية العقلية، إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل، فيلزم تصديق النقيضين وهو محال. وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال، وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر

---

(1) انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، اختصره محمد بن الموصلي (93/1).

(2) انظر: القضاء والقدر في الإسلام، لفاروق أحمد دسوقي، (281/2)

العقلية، وذلك باطل؛ لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على يد محمد ﷺ.

ولو جوَّزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية لصار العقل متهماً غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً، وأنه باطل.

ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة، أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها.

ثم إنْ جوّزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات، وبالله التوفيق"[1].

يذكر ابن تيمية أن هذا قانون كلي عند الرازي وأتباعه، وطائفة سبقتهم إليه، وقد رد ابن تيمية على "قانون التأويل الكلي" رداً شافياً بحيث لم يترك زيادة لمستزيد من وجوه عديدة بلغت أربعة وأربعين وجهاً في كتابه "درء تعارض العقل والنقل"، ومن أهمها:

1- إن قوله[2]: "إذا تعارض العقل والنقل" إما أن يريد به القطعيين فلا نسلم بإمكان التعارض حينئذ، وإما أن يريد به الظنيين، فالمقدم هو الراجح مطلقاً، وإما أن يريد به ما أحدهما قطعي، فالقطعي هو المقدم مطلقاً وإذا قدّر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعياً، لا لكونه عقلياً، فعلم أن تقديم العقلي مطلقاً خطأ، كما أنَّ جعْل جهة الترجيح كونه عقلياً خطأ"[3].

2- وأما دعوى أن العقل أصل النقل، وتقديم النقل يلزم الطعن في العقل، فيجيب ابن تيمية عن ذلك برده: إن ما يقوله غير مسلم ، وذلك أن قوله: إن العقل أصل للنقل، إما أن يريد به أنه أصل في ثبوته في نفس الأمر، أو أصل في علمنا بصحته.

---

(1) أساس التقديس، لفخر الدين الرازي، ص (193).

(2) يقصد به الرازي وأتباعه وكل من يزعم تعارض العقل والنقل في أي زمان.

(3) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، (86،87/1).

والأول لا يقوله عاقل، فإن ما هو ثابت في نفس الأمر بالسمع أو بغيره هو ثابت، سواء علمنا بثبوته أو لم نعلم بثبوته بعقل أو غيره، فعدم العلم بالحقائق لا ينفي ثبوتها في أنفسها. فيتأكد بذلك أن العقل ليس أصلاً لثبوت الشرع في نفسه، ولا معطياً له صفة لم تكن له.

وأما إن أراد أن العقل أصل في معرفتنا بالسمع ودليل على صحته فيقال لمدعيه: أتعني بالعقل هنا الغريزة التي فينا، أم العلوم التي استفدناها بتلك الغريزة؟

أما الأول فلم ترده ويمتنع أن ترده؛ لأن الغريزة ليست علماً حتى يعارض بها النقل، وإن أردت بالعقل الذي هو دليل السمع وأصله المعرفة الحاصلة بالعقل، فيقال لك: من المعلوم أنه ليس كل ما يعرف بالعقل يكون أصلاً للسمع، ودليلاً على صحته، فإن المعارف العقلية أكثر من أن تحصر، والعلم بصحة السمع غايته أن يتوقف على ما به يُعلم صدق الرسول ﷺ، وبهذا يتضح أن جميع المعقولات ليست أصلاً للنقل[1].

3- وجوب تقديم الشرع عند تعارضه مع العقل؛ لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلمُ بصِدْقِهِ موقوف على كل ما يخبر به العقل[2].

4- "تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع ومتناقض وأما تقديم الأدلة الشرعية ممكن مؤتلف، فوجب الثاني دون الأول؛ وذلك لأن كون الشيء معلوماً بالعقل أو غير معلوم بالعقل، ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء، بل هو من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيداً قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر".[3]

5- والمسائل التي يقال: إنه قد تعارض فيها العقل والشرع جميعها مما اضطرب فيه العقلاء ، وهي مسائل ليست بينة وواضحة بصريح العقل كمسائل الإلهيات والحساب والطبيعيات، وليس في القرآن شيء من هذا، ولم ينقل أحد، بإسناد صحيح عن نبينا ﷺ، شيئاً كهذا[4].

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل، (87/1، 88، 89)

(2) انظر: المرجع السابق، (138/1)

(3) درء تعارض العقل والنقل، (144/1)

(4) انظر: المرجع السابق، (145/1، 148)

يخلص ابن تيمية إلى القول: " ففي الجملة النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بينٌ قط ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب وما علم أنه حق لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق .

بل نقول قولاً عاماً كلياً : إن النصوص الثابتة عن الرسول ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها، وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة ، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شُبَه سفسطائية(1) لا براهين عقلية"(2).

ومما سبق يتضح مدى قوة ردود ابن تيمية فقد كانت شافية كافية فلم يترك زيادة لمستزيد.

الخلاصة:

إن حقائق الوحي والعقل لا يمكن أن تتعارض انطلاقاً من وحدة مصدر كلهيما وهو الله تعالى، ودور العقل مع الوحي هو التأكد من صحة نسبته ومن صدق النبي في دعواه التبليغ من ربه، فلا يتجاوز هذا إلى الجدل والخصومة فيما يأتي من أمور غيبية؛ لأن ذلك ليس من حدوده ، فليس له الحكم في عالم الغيب، ومن هنا يظهر مدى التكامل بين العقل والنقل كمصدرين للفكر والمعرفة، فلا مجال للتعارض بينهما وكل تعارض وهمي يحل بمزيد من الفكر والتدبر والتمحيص.

---

(1) سوفسطائية: أصل هذا اللفظ في اليونانية (سوفيسما) وهو مشتق من لفظ (سوفوس) ومعناه : الحكيم والحاذق، وقيل إن السفسطة قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل، ويقصد به خداع الآخرين أو خداع النفس، فإذا كان القياس كاذباً، ولم يكن مصحوباً بهذا القصد لم يكن سفسطة، بل كان مجرد غلط أو انحراف عن المنطق. انظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، لجميل صليبيا (658/1، 659).

(2) درء تعارض العقل والنقل (155/1، 156)

الخاتمـــة

الحمد لله حمداً يكافئ نعمه ومزيد فضله، أن منّ عليّ بإتمام هذا البحـــث رغـــم مـــا يعانيه قطاعنا الحبيب من حصار وتضييق، وهذا من توفيق الله ﷻ، ونصرةً لنا أهل الرباط، فأتوجه بالشكر له ﷻ أن وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع، وأسأله سبحانه القبول وأن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وبعد ...

فهذه أبرز وأهم النتائج والتوصيات التي خَلُصت إليها:

أولاً: النتائجُ:

1- جاء ذكر العقل في القرآن الكريم في آيات صريحة وغير صريحة، أما الصريحة فقد بلغت تسعاً وأربعين آية.

2- ورد عن العلماء تعاريف كثيرة للعقل ولعل أشملها وأجمعها أن يقـــال: العقـــل يقـــع بالاستعمال على أربعة معانٍ: الغريزة المدركـــة، والعلـــوم الـــضرورية، والعلـــوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم.

3- كلمة عقل في القرآن الكريم لم ترد اسماً ولا مصدراً ولا مشتقاً ولا فعل أمر.

4- القرآن الكريم لم يستعمل العقل بلفظه الاسمي المصدري، وإنما استعمل الفعل يعقـــل وهذه مسألة تسترعي النظر والتفكير وتدل على أن القرآن لم يقصد مجرد العقل بـــل المراد منه إعمال هذا العقل وما يكون من ثمرات إعماله ومن أهمها الإيمان.

5- إن أهم وأول لبنة لبناء عقل الإنسان هي بناء العقيدة الصحيحة السليمة.

6- خطاب القرآن الكريم في العديد من الآيات لأناس يعقلـــون ، يتفكـــرون، يتـــدبرون، يفقهون، ومدحه لأصحاب العقول وذمه لمن عطل وأهمل عقله، دليل على أن القرآن أراد من المسلم أن يكون فاعلاً إيجابياً، وهذا يساهم في تحضر ورقي المسلمين فـــي جميع مناحي الحياة.

7- احترام القرآن للعقل وتقديره ومن ذلك جعل له طاقة وحدوداً لا يتجاوزها.

8- تكامل العقل والنقل وعدم تعارضهما البتة.

ثانياً: التوصياتُ:

على ضوء النتائج التي توصلت إليها الباحثة توصي بما يلي:

1- تربيةِ الأجيال على العقيدة الصحيحة السليمة من خلال الإيمان بعقيدة أهل السنة والجماعة، ومعرفة قيمة العقل وكيف نتعامل معه (دون إفراطٍ أو تفريط).

2- بناء العقل بأفضل وأمثل الطرق ليواكب التطور السريع الذي نعيشه بشرط أن يكون منبعه من القرآن الكريم والسنة.

3- التدبر لكتاب الله ﷻ والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وفي هلاك الأمم السابقة، فلعل تفكر ساعة يكون لك خيراً من عبادة سنة.

4- الاهتمام بتنمية القدرات العقلية وحرية التفكير المنضبط بالإسلام والبعد عن التقليد الأعمى.

5- العمل على تطبيق كتاب الله في واقع حياة المسلمين العملية وذلك بالعودة إلى التدبر الأمثل لكتاب الله حتى يؤتي ثمار ذلك في حياتهم سلوكاً وتطبيقاً.

وهذا كل ما وُفِّقت لجمعه مقرةً بضعفي وعدم إحاطتي ، فما كان فيها من خير فمن الله وحده، وله الحمد على توفيقه، وما كان فيها من خطأ فإني أتوب إلى الله ﷻ منه

وإن تجد عيباً فسد الخللا   جل من لا عيب فيه وعلا

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

Cognitive Construction In Review of "The Holy Quran"

This Thesis includes an introduction and three chapters :

1.Introduction:

It consists of the conceptualization of construction and mind (cognition); concluding the concept of "Cognitive Construction" in connection between language and conventions and the derivatives of the utterance "AQEL =Mind"in the Quran context and the recurrences within Quran .

First Chapter:

The researcher investigated the role of faith in unknown in cognitive construction and the insistence on scientific thinking concerning Allah's marvels. In addition to the Quran invitation to cognitive exploitation.

Second Chapter:

The researcher investigated cognitians /thinkers either in operation or blocking in matter of sorting categories and addressing people who empowered their minds and those who de-powered them.

Third Chapter :

The researcher investigated the people perception to mind .Such as, the right perspective of mind and its nature, the wrong perspective and its nature ,the relation between thinking and transformation, and the miracle of the Quran construction in its building of human mind.

The Conclusion :

The researcher concluded main recommendations in result of findings of the study.

الفهــارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً : فهرس الأعلام.

رابعاً : فهرس المراجع.

خامساً : فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآيـــة
44، 135	258	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ ... ﴾.
46، 47	259	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ... ﴾.
44	260	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ... ﴾.
98، 99	269	﴿ يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ ... ﴾.
40	274	﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... ﴾.
		آل عمران
111	13	﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾.
108	48	﴿ وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ﴾.
45	49	﴿ ...وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله ... ﴾.
25	62	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ ﴾.
8	65	﴿ ...وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾.
8	118	﴿ ...قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.
43	169	﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.
ب ، 35	190–191	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ... ﴾.
69، 99، 100	191	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ... ﴾.
100	195	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم ... ﴾.
		النساء
87	24	﴿ ... فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ... ﴾.
20	32	﴿ ...وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾.
82، 83	48	﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾.

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾.	82	63
﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... ﴾.	105	109
﴿ ...وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ ... ﴾.	113	108، 109
المائدة		
﴿ ...قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ... ﴾.	15-16	160
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ... ﴾.	57-58	10، 134
﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾.	72	83
﴿ ...إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ... ﴾.	90	147
﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ ... ﴾.	100	98
﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ... ﴾.	103	10، 132
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ... ﴾.	105	49
﴿ ...فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ... ﴾.	106	42
الأنعام		
﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ... ﴾.	7	32
﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾.	32	8، 92
﴿ ... ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	151	8
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ... ﴾.	165	121
الأعراف		
﴿ ...قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾.	12	148
﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا ... ﴾.	44	24

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ... ﴾.	54	40
﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ ... ﴾.	98-97	51
﴿ ...وَالدَّارُ الآَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾.	169	9
﴿ ... لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا ... ﴾.	179	32،14
﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ ... ﴾.	180	152
﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا... ﴾.	189	67
الأنفال		
﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾.	22	هـ، 10، 139
﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴾.	53	47
التــوبــة		
﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ ... ﴾.	43	156
﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ ... ﴾.	109	4
يونس		
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ... ﴾.	5	70
﴿ ...فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾.	16	9
﴿ ... أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا... ﴾.	24	48
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ ... ﴾.	32-31	84
﴿ ... أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ ﴾.	42	10
﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ... ﴾.	100-99	140
﴿ ...وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾.	100	10

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
هود		
﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾.	51	9، 88
﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ...﴾.	120	26
يوسف		
﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.	2	9، 57
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾.	22	105
﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ...﴾.	104	88
﴿... وَلَدَارُ الآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.	109	9
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ...﴾.	111	27
الرعد		
﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا...﴾.	3	72
﴿... وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.	4	10
﴿ ...قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.	16	79، 90
﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يِنقُضُونَ ...﴾.	19–22	100
﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ...﴾.	22–24	101
إبراهيم		
﴿...وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.	25	27، 28
﴿...وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾.	45	28
الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.	9	63، 66

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ... ﴾.	32-42	23
﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ... ﴾.	42	44
النحل		
﴿ ... وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	12	هـ ، 10
﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.	15	73، 76
﴿ ...فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ... ﴾.	26	4
﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ... ﴾.	67	10
﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ... ﴾.	78	31، 32
﴿ ... وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.	96	88
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ... ﴾.	97	87
﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ... ﴾.	112	48
الإسراء		
﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ ... ﴾.	12	71
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ... ﴾.	16	48
﴿ ...إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾.	36	15، 31
﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ... ﴾.	59	53
الكهف		
﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا... ﴾.	21	47
﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ... ﴾.	34	22
﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ... ﴾.	37	22

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
﴿ ...فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.	110	82
مريم		
﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.	12	105، 107
طه		
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ...﴾.	17-18	23
﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾.	36	19
﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.	50	102
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ...﴾.	53-54	102
﴿إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾.	65	118
﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ ...﴾	66	118
﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ... ﴾.	70-76	118
﴿ ...وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.	114	64
﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ ...﴾.	128	103
الأنبياء		
﴿ ...فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.	7	20
﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.	10	9، 57
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.	22	39، 121
﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.	23	89
﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ...﴾.	62-67	9، 131
﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ...﴾.	74	106
﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ...﴾.	78-79	109

الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
الروم		
﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ... ﴾.	8	53
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴾.	9–10	47
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ... ﴾.	21	66
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ... ﴾.	24	11
﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء ... ﴾.	28	79
﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ﴾.	50	147
لقمان		
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ... ﴾.	12	ج، 105، 108
﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾	28	45
الأحزاب		
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ... ﴾.	72	121
سبأ		
﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ ... ﴾.	39	86
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ... ﴾.	46	36
يس		
﴿ وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ ... ﴾.	20–29	117
﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾.	62	9
﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾.	68	11

الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	82	56
الصافات		
﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾.	97	4
﴿ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.	138	9
ص		
﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ... ﴾.	20-17	109
﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾.	29	60
﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾.	45	112
الزمر		
﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾.	9	30، 99
﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ ... ﴾.	43	11، 128
غافر		
﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا... ﴾.	61	41
﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾.	64	70
﴿ ....وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	67	9، 54
فصلت		
﴿ إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ... ﴾.	14	78
﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا ... ﴾.	22-19	21
﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُّمْ عَلَيْنَا ... ﴾.	21	22

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
﴿ ...وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.	21	28
الصف		
﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾.	4	3، 4
الجمعة		
﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ...﴾.	8	42
المنافقون		
﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ ...﴾.	2-3	128
الطلاق		
﴿ ...وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ... ﴾.	2-3	85
﴿ ...فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ...﴾.	6	88
﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...﴾.	12	89
الملك		
﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ...﴾.	3	36
﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ...﴾.	6-10	141
﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ...﴾.	10-11	هـ، 9، 141
نوح		
﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ...﴾.	10-12	85
الجن		
﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾.	16	87
المزمل		
﴿ ...وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾.	4	61
﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.	6	61

الصفحة	رقم الآية	الآيــة
		القيامة
64	19-16	﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ...... ﴾.
63	17	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾.
		الإنسان
90	30	﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.
		النبأ
73	7-6	﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾.
		الانشقاق
122	6	﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾.
		الأعلى
64	7-6	﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى * إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾.
		الغاشية
33	20-17	﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ... ﴾.
		الفجر
110	5	﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾.
		العلق
30	5-1	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ... ﴾.
		الإخلاص
79	4-1	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾.

ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة

ثالثاً: فهرس الأعلام

رابعاً : فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الحديث، القاهرة،(1425هـ - 2004م).

2- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار، دار ابن الهيثم.

3- الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم – دمشق – الطبعة الثالثة (1413هـ - 1992م).

4- أدب الدنيا والدين. لأبي الحسين علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، دار إحياء العلوم – بيروت.

5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبي السعود لمحمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى (1421هـ-2001م).

6- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، بتحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان،(1399هـ - 1979م).

7- أساس التقديس، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن فخر الرازي، دار الجيل، بيروت- لبنان،(1993م).

8- الإسلام وثقافة الإنسان، لسميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري ، بيروت – لبنان، الطبعة السابعة (1981م – 1401هـ).

9- أسلوب المحاورة في القرآن ، لعبد الحليم حنفي – النسخة الأخيرة .

10- أصول الإيمان، لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق: باسم فيصل الجوايرة، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة(1424هـ).

11- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف الأمين بن محمد المختار، الشنقيطي الناشر/ مكتبة ابن تيمية- ط (1408هـ - 1988م).

12- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزِّركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة (1980م).

13- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه زهر الخير على أيسر التفاسير، لأبي بكر جابر الجزائري، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، الطبعة الثانية (1422هـ - 2001م).

14- الإيمان ، لعبد المجيد الزنداني وآخرين ، دار النشر / المكتبة العصرية طبعة (1423هـ - 2003م).

15- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار أبي حيان، الطبعة الأولى (1416هـ - 1996م).

16- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار،(1389هـ -1969م).

17- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة(1422هـ - 2001م).

18- التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، حقوق الطبع محفوظة لجمعية القرآن الكريم بجدة، الطبعة الثانية (1408هـ - 1987م).

19- تدبر القرآن، لسلمان بن عمر السنيدي ، الطبعة الثانية(1423هـ - 2002م).

20- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، دار الفجر للتراث ، الطبعة الأولى (1421 هـ - 2000م).

21- التربية العقلية، لعلي عبد الحليم محمود من علماء الأزهر.

22- التصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب ، دار الشروق، الطبعة الخامسة (1399 -1979).

23- تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى(1422هـ -2001م).

24- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس .

25- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى(1413هـ - 1993م).

26- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، المكتب الثقافي الأزهر – القاهرة، الطبعة الأولى(2001م).

27- التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، لفخر الدين ابن العلامة ضياء الدين الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.

28- تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار ، دار النفائس ، الطبعة الأولى(1416هـ - 1996م).

29- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة ،(1397هـ - 1977م).

30- التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، الناشر مكتبة وهبة، الطبعة السادسة(1416هـ - 1995م).

31- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الإنسان (وجوداً وقيمة، وغاية)، للراغب الأصبهاني، أبو الحسين القاسم بن محمد ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى (1408هـ - 1988م).

32- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ، حققه وقدم له عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي النجار، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، بدون طبعة.

33- تهذيب سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط ، هذبه أحمد فايز الحمصي، راجعه عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى(1412هـ - 1991م).

34- توحيد الخالق، لعبد المجيد الزنداني، الناشر دار السلام، دار المجتمع، الطبعة الأولى(1405هـ - 1985م).

35- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مكتبة الصفا – الطبعة الأولى (1422هـ - 2002م).

36- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (1421هـ - 2001م).

37- جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، الناشر مكتبة أبي بكر أيوب ، الطبعة الأولى (1412هـ - 1992م)

38- الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المكتبة التوفيقية، بدون طبعة.

39- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي البصري، الطبعة الأولى في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة ببلدة حيدر آباد الدكن ، ذي القعدة سنة (1345هـ).

40- الحوار أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية، ليوسف علي فرحات، مركز العلم والثقافة، النصيرات – غزة، (2006م).

41- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، بحث في جدلية النص والعقل والواقع، لعبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي الطبعة الثانية(1413هـ - 1993م).

42- خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، لفضل عباس، أستاذ مشارك في الجامعة الأردنية – كلية الشريعة – توزيع دار البشير للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (1410هـ - 1990م).

43- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى (1412هـ - 1991م).

44- دراسات في علوم القرآن الكريم، لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الثانية عشرة (1424هـ - 2003م).

45- الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، لعبد الكريم نوفان عبيدات ، دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى(1420هـ - 2000م).

46- دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، لمحمد عز الدين توفيق، دار السلام، الطبعة الثالثة(1424هـ - 2004م).

47- روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل بن مصطفى الحنفي الخلوتي والبروسوي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان،الطبعة الأولى (2003م – 1424هـ).

48- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون طبعة.

49- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي القرشي البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى(1422هـ - 2001م).

50- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الرابعة(1408هـ - 1988م).

51- سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، الشهير بـ (ابن ماجة) حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

52- سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

53- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بـ(النسائي) ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

54- سير أعلام النبلاء ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الحادية عشرة (1419هـ - 1998م).

55- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

56- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لمحمد عبد الحميد، مطبعة التراث مصر – القاهرة ، سنة (2005م).

57- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، لأبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الطبعة الثالثة(1415هـ - 1994م).

58- شرح أصول العقيدة الإسلامية، لنسيم شحدة ياسين، الطبعة الثانية (1420هـ - 1999م).

59- شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح العثيمين – الناشر مكتبة الإيمان- المنصورة – بدون طبعة.

60- صحيح البخاري (بحاشية السندي)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة للطباعة والنشر.

61- صحيح سنن أبي داوود، لسليمان بن الأشعث السجستاني ، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (1421هـ - 2000م).

62- صحيح مسلم؛ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

63- صفوة التفاسير؛ تفسير القرآن الكريم ، لمحمد علي الصابوني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع(1421هـ - 2001م).

64- العِبر في خبر من غَبر، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

65- العقل والعلم في القرآن الكريم، ليوسف القرضاوي ، الناشر مكتبة وهبة، الطبعة الأولى (1416هـ - 1996م).

66- عقيدة المؤمن، لأبي بكر الجزائري، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية (1398هـ - 1978م).

67- العقيدة في الله، لعمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن، الطبعة الخامسة عشرة(1423هـ - 2002م).

68- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ،معجم معاني كلمات القرآن، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي الشافعي المعروف بالسمين، تحقيق محمود محمد السيد الدغيم، صورة المخطوطة مكتبة نور عثمانية في اسطنبول، الطبعة الأولى (1407هـ - 1987م).

69- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (1408هـ - 1988م).

70- غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد، للحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، دار الصفوة، الطبعة الأولى (1416هـ -1995م).

71- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الحديث، القاهرة، سنة الطبع (1423هـ - 2003م).

72- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منها، عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، (1900).

73- فنون الحوار والإقناع، لمحمد راشد ديماس، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط (1999م.).

74- الفوائد،لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، المكتبة العصرية، الطبعة الثالثة(1420هـ - 2000م).

75- في ظلال القرآن، لسيد قطب ، دار الشروق، الطبعة التاسعة (1400هـ - 1980م).

76- القضاء والقدر في الإسلام، لفاروق أحمد دسوقي، دار الدعوة، بدون طبعة.

77- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل- تأملات، لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم ، دمشق ، طبعة ثانية(1406هـ 1989م).

78- كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

79- كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ،مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة 1390هـ.

80- كتاب الكبائر، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التـراث العربـي، بيروت- لبنان.

81- كتاب مناهل العرفان للزرقاني ، دراسة وتقويم خالد بن عثمان السبت، دار ابـن عفان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية(1422هـ - 2001م).

82- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويـل، لأبـي القاسـم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي ،بيـروت - لبنان ، الطبعة الأولى(1424هـ - 2003م).

83- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق الفردية، لأبي البقاء أيوب بن موسـى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية (1413هـ - 1993م).

84- كيف تكسب زوجتك ، إعداد إبراهيم بن صالح المحمود.

85- لسان العـرب، لمحمـد بـن مكـرم بـن منظـور،الافريقي المـصري، دار صادر،بيروت،الطبعة الأولى.

86- لغة الحوار في القرآن الكريم، (دراسة وظيفية أسلوبية)، لفوز سهيل كامل نزال، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، الأردن، (2003م).

87- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لأبي عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، شرح محمد بن صالح العثيمين. مكتبة دار طبرية ، مكتبـة أضـواء السلف ، الطبعة الثالثة (1415هـ - 1995م).

88- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، مكتبة وهبة ، الطبعة السابعة (1410هـ - 1990م).

89- مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الفضل بن الحـسن الطبرسـي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة (1414هـ - 1994م).

90- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

91- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالـب بـن عطية الأندلسي ، دار الكتب العلميـة ، بيـروت - لبنـان، الطبعـة الأولـى (1413هـ - 1993م).

92- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة،لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، اختصره محمد بن الموصلي، مكتبة الرياض الحديثة.

93- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر(ابن قيم الجوزية) ، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى (1422هـ - 2001م).

94- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية(1422هـ - 2002م).

95- مسند أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (164-241هـ) بيت الأفكار الدولية، الأردن.

96- المعجم الأوسط ،لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى (1420هـ - 1999م).

97- معجم التعريفات، لعلي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ،قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، بدون طبعة.

98- معجم ألفاظ القرآن الكريم،مجمع اللغة العربية، ، بدون طبعة.

99- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى(1417هـ - 1996م).

100- معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، حققه شهاب الدين عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية(1418هـ - 1998م).

101- معلمة الإسلام، أنور الجندي، مكتب الإسلام، الطبعة الثانية (1400هـ - 1980م).

102- المغني في علم التجويد، لعبد الرحمن الجمل، الطبعة الثالثة (2002م).

103- مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة ،10 مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل، لخالد بن عبد الكريم الاحم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فهرسة مكتبة الملك فهد ، الطبعة الأولى(1425هـ - 2004م).

104- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم – دمشق ، الدار الشامية – بيروت ، الطبعة الثالثة(1423هـ - 2002م).

105- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار الفكر، بدون طبعة.

106- منهج الفن الإسلامي، لمحمد قطب، دار الشروق (1400هـ- 1980م)

107- منهج القرآن في عرض قضايا العقيدة، لوليد محمد حسن العامودي، آفاق للطبع والنشر والتوزيع.

108- منهج المدرسة العقلية الحديثة، لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة(1407هـ).

109- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية الشريفة، لعبد الرحيم ماردينى .

110- الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب ، لسعود بن عبد الله الحزيمي، دار الفجر للنشر والتوزيع(2005).

111- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة مانع بن حماد الجهني، الناشر ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة(1420هـ).

112- نحو ثقافة إسلامية أصيلة، لعمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دار النفائس للنشر والتوزيع – الكويت ، الطبعة الثانية (1410هـ - 1990م).

113- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (1415هـ - 1995م).

114- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الثانية (1423هـ)، أشرف عليه وقدم له علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري.

115- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (2003م – 1424هـ)

116- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلِّكان (608 – 681هـ) دار صادر ، بيروت، الطبعة الرابعة (2005م).

الدوريات:

1. مجلة البيان، العدد (163)، السنة السادسة عشرة، ربيع أول، يونيو 2000م.
2. مجلة الدعوة، العدد التاسع عشر، السنة السادسة والعشرون (393)، محرم 1398 – ديسمبر 1977م.
3. مجلة العربي العلمي، العدد الأول، ربيع الآخر 1426هـ - يونيو 2005م.
4. مجلة العربي، العدد (556)، محرم 1426هـ - مارس2005م.
5. مجلة العلم، العدد (341)، فبراير 2005م.

خامساً: فهرس الموضوعات